مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

ربيع الأول 1442هـ - أكتوبر 2020

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين ورد ذكر العرب في قصائدهم فرنسيس وليام لودرديل آدمز Francis William Lauderdale Adams (١٨٦٢-١٨٩٣)، شاعر و روائي بريطاني، أبوه عالم في التاريخ الطبيعي، و أمه روائية. هاجر إلى أستراليا، حيث قضى معظم حياته متفرغا للكتابة. كان غزير الإنتاج رغم أن العمر لم يمتد به أكثر من واحد و ثلاثين عاما؛ فقد صدر له ثلاث روايات و مجموعة قصصية إضافة إلى أعماله الشعرية. انطلاقا من توجهاته الاشتراكية، اهتم فرنسيس آدمز في أعماله بالطبقات المسحوقة و الشعوب المظلومة؛ و لذلك حين ذهب إلى الإسكندرية هاجم الاحتلال الإنجليزي لمصر، و ألف كتابا في ذلك عنوانه «مصر الجديدة»، نشر بعد وفاته سنة ١٨٩٣.

نترجم له هذه النصوص المختارة:

أسطورة عربية

«الشابّة:

« إلى أين تذهبين أيتها الحمامة البيضاء ؟

عبر الهواء الذي يلعب بجناحيك

ويحملك بأقصى سرعة

بعيدا، بعيدا، بعيدا! «

«الحَمامة:

«أذهب إلى حيث يبقى حبيبي معي

خلفَ الغيوم، بعيدا، بعيدا، بعيدا! «

«الشابّة:

«أيتها الحَمامة البيضاء، من أين عُدتِ؟

جناحاك مهيضان

وعليَ منهما استطارتْ

قطراتٌ من الدم «.

«الحَمامَة:

«جئتُ للموت حيث كان يُحِبُّني في الأيّام الخَوالي؛

لأنه لم يَعُدْ يُحِبُّني الآن!»

أغاني هونج كونج

١-

عند مرسى ميناء هذه الجزيرة،

البوابةَ الصينية،

استلقينا، حيث كانت المدينةُ البحريةُ

مصاطبَ تحتَ مرتفعاتٍ مكسوّةٍ بالخُضْرة.

سُفُنٌ، وبواخرُ، ومراكبُ شراعية، وأعلامٌ وشعوبٌ عديدة،

وبحَارةٌ شتّى،

سفنٌ شراعيةٌ صينية، وقواربُ، وكلُّ حشود الشرق المبتهجة،

مما شاهدتُ وعرفت.

و حين وقفتُ، بأصوات مفاجئة حُلوة رنّانة

على نسيم مَرِح،

دقّتْ أجراسُ الكنيسة، معلنةً السلامَ الداخلي.

أيتها الأجراسُ الإنجليزية، ارتفعتْ موسيقاك أو انخفضت،

لن أهلَلَ لك،

رغمَ أنها تأتيني حُلوةً حزينةً، تُذكّرني بأيامِ الصِّبَا العزيزة.

لذلك، أيتها الأجراسُ الإنجليزية - آخرُ الصّلات مبتورٌ ومهترئ،

وقد تركتُ الأرضَ والعقيدةَ إلى الأبد -

فدقّي ولا تتوقفي!

٢-

هناكَ الكثيرُ في هذه المدينة البحرية

لم أصادفْه من قبل،

ولكن شيئان مألوفان عندي

من زمن بعيد.

في الخُضْرة الاستوائية الجميلة،

في الشوارع، انظرْ

المباني الإنجليزية البشعة

والرجلَ الإنجليزيَّ الوحشي!

٣-

أقفُ وأشاهدُ الجنودَ

يسيرون صعودا وهبوطا،

على ملعب الكريكيت الأخضر الجديد

خارجَ المدينة.

أقفُ، وأشاهدُ، وأتساءل

متى، في الأرض الإنجليزية،

هذا الجنديُّ البائسُ المعتوهُ

سيتعلم ويفهم؟

أن الزولو، والبوير يين، والعربَ،

كلهم يقاتلونه مُجْرما بَشِعا

ليكونوا أحرارا،

رجالا ونساء وأطفالا.

في الهند وأيرلندا

إنه أوقفَ الناسَ؛

ليسرقَ أموالَهم

النبيلُ الإنجليزيُّ اللص.

ماذا أعطوه؟

لجعله خائنًا لواجبه،

وإجباره على ظُلم أخيه؟

ليس إلا ملابسَ العبد وروحَه!

أيها الفقيرُ الأحمقُ، تومي أتكينز،

كم ذابل أنتَ، فلتفهمْ، في ذلك اليوم

حين تقفُ بعيون متلهفة وأسنانٍ مشدودة،

لتقول:

«هذه إنجلترا حبيبتنا الغالية،

وسوف أحررُها قدْرَ استطاعتي،

من كل تاجرٍ فاسد،

ونبيلٍ غشاش!»

hilalalhajri@hotmail.com

صفحة 22 و 23

كيف تفكر سياسيا.. حكماء ودارسون ورجال دولة شكلت أفكارهم العالم

مُحمَّد الشيخ *

ما أعقد الصلة بين الفكر السياسي والممارسة السياسية! وبين صورة مهاجمي سجن لاباستي الفرنسي الرهيب عشية الثورة الفرنسية وهم يحملون كتاب الفيلسوف السويسري جون جاك روسو «العقد الاجتماعي»، وصورة الفيلسوف الألماني ثيودور أدورنو وهو يتساءل: لأي شيء تصلح الثقافة إذا لم تمنع ما حدث في الحرب العالمية الثانية من أهوال ومآسي، تتناسل عشرات التساؤلات.

وهُوَ ذا ما تَنبَّهَ إليه صاحبا هذا الكتاب لما عنونا خاتمة كتابهما بالعنوان المُشْكَل التالي: «في الزواج غير السعيد بين السياسة والفلسفة». إذ يعتقد الباحثان أن السياسة أكثر من مجرد صدام مصالح، وأن من شأن الأفكار أن تلعب دورا حاسما في شؤون البشر التي ما كانت على وجه الجملة بالشؤون العملية وحسب. ذلك أن «السياسة» معركة أفكار وما كانت مجرد معركة أسلحة؛ على نحو ما أثبتت ذلك الثورتان الفرنسية والروسية، وكما هي سائرة إلى إثباته «الثورة الشعبوية» في الغرب ضد العولمة والإسلام والهجرة والتي هي معركة هوية وقيم أكثر منها معركة سلطة ومصالح.

ولهذا السبب تعرض الباحثان، في هذا الكتاب، إلى مناقشة الأفكار والمفاهيم في كل نظام سياسي كائنا ما كان. والذي عندهما أن نقطة التقاء الأفكار بالواقع تكون دوما مجال تعادي وتصارع، ومثالية وكلبية، ورجاء وفقدانه. ومن هذه الحيثية بالذات يمكن للفلسفة أن تلقي مزيدا من الضوء على السياسة. ومن دون إلقاء الضوء هذا تبقى السياسة لعبة مصلحة مدلهمة تتواجه فيها أسلحة الجهل تحت جنح الظلام.

تُرى من هم هؤلاء المفكرين والدارسين ورجال الدولة الذين شكلت أفكارهم العالم؟ يعرض مؤلفا هذا الكتاب إلى ثلاثين مفكرا ورجل دولة من الغرب والشرق وعلى مر مراحل التاريخ -والتي أداروها على أربع مراحل: مرحلة القدماء ومرحلة الوسطويين ومرحلة المحدثين ومرحلة المعاصرين. وأغلبية هؤلاء وأولئك من أهل الغرب؛ اللهم باستثناء ستة: كونفشيوس -الذي يفتتح اللائحة- والفارابي وابن ميمون وغاندي وسيد قطب وماو تسي تونج. كما أن معظمهم ذكور؛ اللهم باستثناء ثلاثة: واحدة هي الفيلسوفة والمفكرة النسائية الإنجليزية ميري ولستونكرافت -من المحدثين- واثنتان من المعاصرين: حنة أرندت ومارتا ناسبوم. وهكذا، نجد، في المجمل، من القدماء أربعة: كونفشيوس وأفلاطون وأرسطو وأوغسطينوس، ومن الوسطيين ثلاثة: الفارابي وابن ميمون وتوما الأكويني، ومن المحدثين -وهم الأغلبية- خمسة عشر من أشهر فلاسفة السياسة الغربيين؛ فضلا عن ثمانية من المعاصرين: من غاندي -فاتحتهم- إلى المفكر البيئي النرويجي أرن نيس -خاتمتهم.

ويعرض المؤلفان، بداية، إلى الصورة السلبية السائدة اليوم عن «السياسة»: إنما السياسة «مستنقع آسن» لم يعد يشكل سوى مشهد سوقي يجمع بين الخداع والطموح والانتهازية؛ بحيث لا مجال فيه للمثل العليا وللأفكار النبيلة. لكن المؤلفين يرومان تنسيب هذا الحكم: كلا؛ إنما الشأن في «السياسة» أن تُجلي وتُسفر عن البشر في أنفس ما لديهم وأخس. ولئن كنا اليوم نعيش الأخس، فلقد كان لنا في التاريخ أسوة حسنة. حيث كانت السياسة تترك مجالا للأفكار والمثل لكي تلقي الواقع العياني، وحيث كانت محاسن المقالة تلتقي مع مناقب الفعالة. والحال أن الشأن في «السياسة» أنها نشاط بشري عظيم وتمديني، وهي البديل عن أن يساس البشر بالقوة وبالخداع. هذا فضلا عن أن «السياسة» هي ما يحدد مصير الإنسان. وكما قال تروتسكي: لئن أنت لم تهتم بالسياسة، فإنها تهتم بك. هذا لا سيما في زمن تكوثر وسائل الاتصال بحيث صارت الأخبار هي باطل الأخبار.

ويرى صاحبا الكتاب أن غاية وضع هذا الكتاب: «كيف تفكر سياسيا» أن يساعد القارئ على أن يتنشط في ما وراء الخبر السياسي لكي يكسب معرفة عن «الشأن السياسي»؛ ومن ثمة أن يقتدر على أن يحكم على عالم السياسة والسياسيين. ذلك أن من شأن «الخبر» أن يدور على «الوقائع»؛ ومن هناك يكون مخصوصا، بينما أمر «المعرفة» أن تكون أعم وأشمل، وأن تتضمن الفهم والتحليل. أَوَ ليست الحكمة هي أعلى وأعمق شكل استبصار لواقع الأمر؟

لذلك؛ يعتبر هذا الكتب دعوة للقارئ -من خلال ثلاثين فصلا قصيرا- إلى الولوج لعالم شخصيات وأفكار استثنائية: من كونفشيوس، حكيم صين العوائد القديمة، إلى أرن نايس، متسلق الجبال وحكيم الطبيعة النرويجي المعاصر؛ ومن الفارابي الحكيم المسلم الباحث عن الإمام الفلسفي، إلى حنة أرندت المثقفة الألمانية اليهودية المنفية؛ ومن أفلاطون الذي اكتوى بنار السياسة اكتواء وخبر حقيقتها، إلى جون راولز الأستاذ السياسي الليبرالي صاحب نظرية العدالة بوصفها إنصافا. ويؤلف هذا الكتاب بين مرويات مشوقة للأحداث وعروض مبسطة للأفكار. ولا يفقد مع ذلك خيطه الناظم: كيف فَكَّرَ هؤلاء المفكرون في «الحياة الطيبة»، سواء حياة الفرد أو حياة الجماعة، من مدخلها السياسي؟ وينهي الباحثان كل فصل بحكمة تلخص فكر من عرضوا إلى فكره.

هذا ويُمكن إجمال معظم الأفكار الواردة في هذا الكتاب، الذي هو أشبه شيء بجولة باذخة في معرض لوحات، في الجواب عن ثلاث مسائل جوهرية:

١- هل السياسة مجرد صراع على السلطة؟ ولئن هي كانت كذلك، فكيف لها أن تختلف عن سلوك الحيوانات حين نشاهدها تتصارع في ما بينها البين حول السلطة والهيمنة والإخضاع؟ وهل الاحتجاج السياسي شيء آخر غير طقوس أشبه شيء تكون بتساطح رؤوس. الواقع أنه سعى بعض فلاسفة السياسة إلى المقارنة بين السياسة البشرية وصراعات القوة التي تشهد عليها مملكة الحيوانات. لكن أرسطو اعتبر أن ما يجعل من السياسة البشرية أمرا فريدا إنما هو أن النزاع فيها لا يكون فقط من أجل السلطة، بل يتم أيضا بغية العدل. ولئن كان بمكنة سائر الحيوانات أن تعبر عن اللذة والألم، لكن وحدهم البشر يعبرون عن الخير والشر والصواب والخطأ والعدل والظلم. وإذن؛ ثمة تعالق بين السلطة والعدالة: من شأن سلطة بلا عدالة أن تشن الحرب على مواطنيها، ومن شأن عدالة بلا سلطة ألا تقتدر على حماية مواطنيها. ومَنْ ذَا الذي يمكن أن يحيا تحت حكم السلطة فقط أو يملك العدالة فحسب؟ شأن السياسة الحقة أن تجعل السلطة تمارس بعدالة، وأن تجعل العدالة تراقب السلطة. فما يجعل السياسة نبيلة إنما هو التطلع إلى العدالة، وما يجعل السياسة دنيئة إنما هو الصراع من أجل السلطة.

ويعتقد المثاليون السذج أن مدار السياسة على العدل فحسب، ويعتقد الكلبيون السذج أن السياسة تدور على السلطة فحسب. والحال أن المفكرين السياسيين الذين يتم الحديث عنهم هنا أبعد ما يكونوا عن السذاجتين؛ إذ عَدُّوا هم السياسة ملقى السلطة والعدالة. بعضهم شدد على جانب السلطة: أوغسطينوس، مكيافيللي، هوبز، نيتشه، ماو؛ كل هؤلاء شددوا على «سياسة السلطة»؛ إذ قارن أوغسطينوس الحكام بمقترفي الجريمة المنظمة، بينما ادعى ماو أن السلطة السياسة تنبعث من فوهة سلاح ناري. لكن آخرين؛ شأن أفلاطون والقديس توما الأكويني وجون لوك وروسو وتوماس بين وكانط وستيورات مِلْ وراولز وناسبوم، شددوا على «سياسة العدالة»: اعتقد أفلاطون أن شأن السياسة أن تتبدى تبديها الأجلى عندما توكل أمور الحكم إلى الحكماء، بينما دافعت ناسبوم على فكرة أن العدالة تسود فقط عندما يتم إقدار المواطنين على حكم أنفسهم بأنفسهم.

٢- لكن، كيف ارتبط المفكرون السياسيون الكبار بسياسة زمانهم؟ والجواب: بعضهم كانوا منظرين أقحاحا أبعد شيء كانوا عن مزاولة السلطة -الفارابي، ولستونكرافت، كانط، هيجل، نيتشه، آرندت، هايك، راولز- حيث كانوا إما من الجذرية بمكان أو من المهنية بمقام بحيث ما شاركوا في السياسة المشاركة المباشرة. وبعضهم تولى مهام سياسية: مكيافيللي وهيوم كانا من الدبلوماسيين، وبيورك وتوكفيل ومِلْ كانوا من المشرعين، ماديسون وماو كانا من بناة الدول. لكن معظم الفلاسفة السياسيين ما كانوا منظرين سياسيين خُلَّص، ولا كانوا ممارسين سياسيين فاعلين، وإنما كانوا مستشارين حاولوا التأثير في زعماء السياسة في زمانهم: قدم كونفشيوس، مثلا، نصائح مهمة إلى الحكام الصينيين المحليين، وخاطر أفلاطون بحياته في رحلته إلى صقلية أملا باطل الأمل في تطبيق جمهوريته، وكان أرسطو مربي الإسكندر الذي لم يعمل بنصائحه السياسية أبدا! ولعب توماس بين دورا رائدا في حشد الجماهير لا في ثورة واحدة وإنما في ثورتين. وبالجملة، معظم الفلاسفة السياسيين سعوا إلى التأثير في حكام زمانهم، لكن ما تم اختيار أسماء الثلاثين لهذا السبب وحده، وإنما لئن هؤلاء دوّنوا أعمال خالدة في الشأن السياسي وطرحوا قضايا ووضعوا أسئلة وقدموا أفكارا تجاوزت ظرفهم المباشر. ولذلك لديهم العديد مما يقولوه لنا، ويدعونا المؤلفان إلى إصاخة السمع إليهم.

٣- عندما ننظر إلى التاريخ الطويل للفكر السياسي، من الطبيعي التساؤل عما إذا كان من شأن انتشار الأفكار أن ينشأ عنه أي تغيير في العالم الواقعي. كان كارل ماركس يعتقد بأن لا أثر للفكر في الواقع؛ إذ الفكر نفسه أثر للواقع. ومن شأن التسيس أن يتقدم على التفلسف. ومن أمر البشر أن يتصرفوا قبل أن يتفكروا. وحين يتم التفكر،

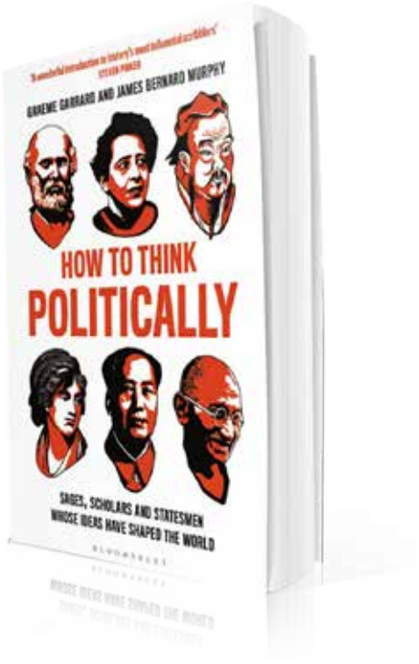

فلأن هناك صعوبة اعترضت، وبات يراد تصحيح الرؤية. لكن تباين وجهات نظر الفلاسفة تمنع من الإجماع حول مُثُل الممارسة السياسية. أكثر من هذا، يرى نيتشه أن من شأن التفكر أن يفسد السياسة؛ لأن تقحم الأمر واتخاذ القرار بشأنه يتطلب اليقين والثقة، والفلسفة مثار الشك والتفكر والتردد. وقد كان هاملت شكسبير مارس الفلسفة قبل الإمارة، وهو ما يفسر عدم قدرته على اتخاذ القرار؛ إذ كان أدمن التفكر حتى ما عاد قادرا على التصرف. وحده أفلاطون آمن بمقدرة الفلاسفة على تولي الحكم وحسن إيالته.

ولهذا الداعي، يمكن النظر إلى الفلاسفة السياسيين، بالأولى، بكونهم أصحاب رؤى مستقبلية ونبوءات أعلق بالآتي منه بالحالي. لقد فكر أفلاطون في نظام مشاعي ألهم ماركس وماو تسي تونج، وكان نزوعه إلى إلغاء الأسرة النووية مُلهِما للكيبوتزات بإسرائيل ولبعض الحركات النسائية اليوم. وكان دعا مكيافيللي إلى وحدة إيطاليا المتشرذمة؛ الشيء الذي تحقق بعد ٣٥٠ حولا حيث اكتملت الوحدة الإيطالية. وتنبأ كانط بسلام أوربا الذي تحقق بعد مضي ١٥٠ عاما، كما تنبأ روسو بالثورة الفرنسية قبل ٢٥ سنة من حدوثها، وتنبأ بيورك بسيادة الرعب قبل مجيء روبسبيير. وتنبأ توكفيل، في زمن كانت فيه الهيمنة لبريطانيا وفرنسا، باقتسام العالم في يوم من الأيام بين أمريكا وروسيا.

على أن بعض نبوءات المفكرين السياسيين أخطأت طريقها إلى التحقق: نبوءة ماركس بسقوط الرأسمالية الوشيك، نبوءة كانط بسيادة السلم العالمي، نبوءة توماس بين بتحول الأنظمة الملكية إلى أنظمة طغيانية. ثم إن بعض النبوءات كانت من السوداوية والغموض بحيث بتنا نأمل ألا تحصل: فروسو وتوكفيل ونيتشه وآرندت كلهم اهتموا بمستقبل المواطنين في الديمقراطيات المتقدمة، وتخيلوا كيف أنهم سوف يمسون من الرفاه ورغد العيش بحيث لا يغدو لهم من هم اللهم إلا تحصيل الملاذ والتبضع وقد تخلوا عن حريتهم السياسية بالتمام والكمال. بل لربما حتى السياسة نفسها سوف تختفي في زمن عالم معولم قائم على الاستهلاك الخاص الذي تديره نخب بيروقراطية، وكفى المواطنين شر القتال. وكان أن رسم لنا نايس كابوس حياة بشر المستقبل في منفى خارج الكرة الأرضية بعد أن يكونوا قد دمروا أرضهم عن طريق إنهاكها استغلالا.

وآخرا؛ يلاحظ المؤلفان أنهما لئن قيض لهما أن يكتبا هذا الكتاب عشرين سنة من ذي قبل، لكان من المحتمل ألا يُضَمِّنَاه مؤلفين قدامى، شأن كونفشيوس والفارابي وابن ميمون؛ إذ كانت بواكير القرن الماضي قد نبذت الفكر السياسي الصيني والإسلامي واليهودي خلف ظهرها؛ لكن المدهش اليوم أننا بتنا نشهد على إحياء كونفشيوس في صين ما بعد ماو، وتفجر النظرية السياسية الإسلامية في الكوكب بأكمله، وبروز دولة يهودية في الشرق الأوسط. وكما كان قد ذكرنا بذلك وليام فولكنر: «كلا؛ ما مات الماضي، ولا حتى مضى هو». أما في ما يخص المستقبل، فقد وقع خيار المؤلفين على أرن نايس بأن يكون من يختم الكتاب؛ وذلك بسبب تفكره في صلة البشرية بالبيئة؛ وهو الأمر الأهم بالنسبة إلى المستقبل.

وختامًا؛ فإنَّ من شأن القارئ أن يتسلى بالتأمل في العناوين التي وضعها المؤلفان أمام كل مفكر سياسي، بعضها عجيب وبعضها غريب: كونفشيوس «الحكيم»، بينما أرسطو «البيولوجي» وأوغسطينوس «الواقعي». ومن الوسطويين نعد ابن ميمون «المشرع» والفارابي «الإمام»... ومن المحدثين تم قرن اسم مكيافيللي «بالوطني» وروسو «بالمواطن» ولوك «بالطهراني» وهيوم «بالريبي» وبيورك «بمعادي الثورة» وبين «بحامل المشعل» وتوكفيل «بالنبي» . ومن المعاصرين تم قرن سيد قطب «بالجهادي» وحنة أرندت «بالمنبوذة» وأرن نايس «بمتسلق الجبال»!

· الكتاب: «كيف تفكر سياسيا: حكماء ودارسون ورجال دولة شكلت أفكارهم العالم».

· المؤلف: جرايم جرارد وجيمس برنارد مورفي.

· الناشر: بلومسبوري، لندن، 2019م

* أكاديمي مغربي

غرشوم شوليم.. معلِّم القابالاه

دافيد بيالِه

عزالدين عناية *

لماذا عرْضُ هذا الكتاب الذي يدور حول شخصية الباحث والأستاذ الجامعي غرشوم شوليم؟ يُعدّ شوليم من أعلام الفكر اليهوديّ (١٨٩٧-١٩٨٢)، وقد خلّفَ أثرًا واضحًا في مسار الدراسات اليهودية المعاصرة، بفضل أبحاثه التأصيلية في الموروث الصوفي العبري، وفي الثقافة اليهودية المعاصرة بشكل عام. لكن الإسهام الأكبر لشوليم في مشاركته في قيام الجامعة العبرية في القدس، وفي تمثيله للصهيونية الثقافية النقدية على مدى فترة حاسمة. نتابع مع الكاتب دافيد بيالِه، أستاذ التاريخ العبري في جامعة كاليفورنيا (دافيس)، إعادة كتابة سيرة الرجل، من خلال إبراز دوره الثقافي داخل إسرائيل وخارجها، وقَبل قيام الدولة العبرية وبَعده.

ويوزع بيالِه كتابه التأريخي على تسعة أقسام، تغطي كافة مراحل حياة غرشوم شوليم، التي يستهلها بحديث عن طفولته البرلينية ويختتمها بتتبع شغفه القابالي الذي نَذَر حياته له حتى مماته. فبعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على رحيل غرشوم شوليم لا يزال يخيم بظلاله على الثقافة العبرية، وقد تأتّى ذلك من سطوة معمقة في مجاليْ المسيحانية والتصوف.

وبدا ذلك واضحا من خلال مؤلفَيْن مرجعيين: الأول تعلقَ بحركة سابتاي زيفي زعيم الحركة المسيحانية التي هزت العالم اليهودي خلال القرن السابع عشر إلى أن اهتدى إلى الإسلام؛ والثاني اعتنى بمذاهب التصوف اليهودي الكبرى. ناهيك عن أعمال أخرى اعتنت بالشأن الثقافي المعاصر، وبقضايا سياسية على صلة بالصهيونية وبالدولة العبرية، مثل كتاب «من برلين إلى أورشليم: ذكريات الشباب»، الذي أبرزَ فيه رفض جذوره الألمانية اليهودية وولاءه للصهيونية، وهو ولاء نقدي جعل منه شخصية مثيرة للجدل ضمن السياق الثقافي اليهودي المعاصر.

ففي الوقت الذي وصلَ فيه غرشوم شوليم إلى فلسطين (١٩٢٣)، كان عدد اليهود في القدس حوالي ٣٠،٠٠٠، وقد تزايد ذلك العدد بشكل متسارع في المدينة المقدسة وأحوازها، وذلك جراء ما عُرف حينها بالعاليا الثالثة، وكذلك نتيجة لوَعد بلفور (١٩١٧)، الذي تدعم بالتحكم البريطاني في فلسطين، وكذلك تزايدَت أعداد اليهود نتيجة الحرب الأهلية في روسيا بين سنوات ١٩١٨ و١٩٢١. فقد كان معظم القادمين اليهود خلال الفترة المتراوحة بين ١٩١٩ و١٩٢٣ من أوروبا الشرقية، في الوقت الذي مثل فيه القادمون من ألمانيا -ومن ضمنهم شوليم طبعًا- أقلية ضئيلة.

ولا بد أن نشيرَ إلى أن فكرة إنشاء الجامعة العبرية وتأسيس المكتبة الوطنية، جاءت مبكرة، فقد كان ضغط اللاسامية في أوروبا على الأساتذة والطلاب اليهود دافعًا للتفكير في إنشاء مؤسسات تربوية وثقافية في فلسطين. وبالفعل تم تدشين الجامعة العبرية في مطلع أبريل ١٩٢٥. ومع انطلاق شوليم في مشواره الأكاديمي في الجامعة لم يكن بارزًا، ولم ينل حظا في أوساط الطلاب. فقد أورد في إحدى مقالاته: لم يكن مسعاي لبعث نقاش فلسفي حول أصول القابالاه بين طلابي موفقًا، جراء عجزهم الفاجع عن التفكير. ولكن ما يُلاحَظ أن مع مرور السنوات، غدا شوليم من أكثر الأساتذة تأثيرًا في الجامعة. وكانت تزكيته أو موافقته على انتداب مدرسين جدد في الجامعة العبرية لهما بالغ التأثير حتى في تخصصات بعيدة عن مجاله. ولا بد أن نشيرَ إلى أن اندماج شوليم في الوسط اليهودي في فلسطين قد تعزز عقب زواجه من إيخا بورخاردت وانتدابه في الجامعة العبرية؛ لكن ذلك النجاح كان يخفي خيبة من الأوضاع الثقافية والسياسية الصهيونية على المستوى الشخصي.

وفي الواقع، بدأتْ صورة شوليم تبرز منذ تشكيل لجنة بيل التي رعاها الإنجليز للبحث عن حل للثورة في فلسطين إبان الانتداب. نُشر الكتاب الأبيض في يوليو ١٩٣٧ وقد نص على تقسيم فلسطين. كان موقف شوليم مزدوجا، ورد في تصريح له: «مبدئيا أعارض التقسيم، لأني أعتبر الحل الأمثل في إنشاء مجلس عربي يهودي مشترك يمثل كافة أهالي فلسطين» هكذا صرح شوليم.

وعلى ما يرصد دافيد بيالِه في كتابه، كان شوليم في قلب الحدث الثقافي اليهودي، في الداخل والخارج. وإن هجر ألمانيا بقناعة وإدراك سنة ١٩٢٣، باتجاه فلسطين، فقد تواصلت علاقته باللغة الألمانية متينة أكان عبر البحث أو الكتابة. تابع النشر في الدوريات العلمية الألمانية والكتابة في المجلات الشعبية الموجهة إلى الجالية اليهودية مثل «جوديش رودسخاو». فمن اللافت استمرار تواصله مع الجالية اليهودية، إبان الحقبة النازية، باللغة الألمانية وهو ما يعني أنه لم يُدر الظهر لمجتمع المنشأ. وفي واقع الأمر، كانت علاقة شوليم باللغة بوجه عام إشكالية ومتقلبة، ففي ألمانيا أبدى وَلَعًا مبكرا بالعبرية وتململًا من الألمانية، وفي فلسطين حاول أن يجد توازنا بين اللغتين. كانت أبحاثه ومؤلفاته العلمية تُدون بإحدى اللغتين، وبحسب الجهة التي يتوجه إليها الخطاب. والطريف أن شوليم حين يكتب للألمان كان يوقع مقاله باسمه الألماني «جرهارد شوليم»، وحين يكتب لليهود يوقع باسمه العبري «غرشوم شوليم»، الاسم الذي شرع في استعماله مع رفاقه الصهاينة أثناء الحرب العالمية الأولى. حيث لم يهجر شوليم لغته الأم -الألمانية-، فقد كان مزدوج اللغة حتى في الحياة العامة، في وقت كان فيه دعاة العبرية يحرصون على نقاوة اللغة وتنقيتها من الشوائب.

وكما أسلفنا القول، كان شوليم في قلب الحدث الثقافي اليهودي، وكان له جدل واسع مع حنة أرندت ومارتن بوبر وآخرين. فقد التقى شوليم حنة أرندت أول مرة في فرنسا (١٩٣٨)، وهي الطالبة التي أعدت رسالتها للدكتوراه تحت إشراف كارل ياسبرس، وسبقَ لها أن تلقت درسها الفلسفي على يد الفيلسوف مارتن هايدغر. وجد الثنائي -شوليم وأرندت- تناغمًا في المواقف السياسية الموالية للصهيونية وإن تباعدت المشاغل الفكرية بين الطرفين، فأحدهما يشتغل على الأصول الميتافيزيقية لليهودية والآخر على القضايا الفكرية الحديثة. تمتنت عرى العلاقة بين الثنائي، جراء تقدير شوليم لاشتغال أرندت في منظمة صهيونية يترأسها زوجها هانريخ بلوشر، تُعنى بترحيل الصبية اليهود نحو فلسطين عرفت بالعاليا الشبابية.

لكن تلك العلاقة تخللتها تباينات وخلافات في وجهات النظر. فخلال العام ١٩٤٥ عبرت حنة أرندت في مقال صادر في «مينوراه جورنال» بعنوان «إعادة النظر في الصهيونية» عن انتقادها للصهيونية اليمينية، وهو نقد من داخل الانتماء وليس من خارجه. رد حينها شوليم على أرندت بأنه يجاري انتقاداتها الجذرية، كما أنه بالمثل يعارض سياسات بن غوريون، سوى أنه لا يقبل بتلك الرؤية الماركسية التي تتبناها، فهي تستند في منظوره إلى رؤى معادية للصهيونية، معتبرا أن طوباوية أرندت نابعة من البعد عن فلسطين ومن نقص الإلمام بواقع اليهود في الداخل. ردت أرندت على شوليم بالقول: إنه يرى أن إسرائيل هي مركز العالم، وأن مركز إسرائيل هو أورشليم، وأن مركز أورشليم هو الجامعة العبرية، وأن مركز الجامعة العبرية هو شوليم، فالشيء

المحزن أن يرى شوليم بالفعل أن للعالم مركزا. في واقع الأمر لم يقف الحضور العلمي حائلا دون تقديم شوليم استقالته من الجامعة العبرية، وذلك في المرحلة الأخيرة من مشواره الأكاديمي، دعمًا للحرية الأكاديمية والمعرفية.

وكان شوليم يرى نفسه معنيا بالحفاظ على الذاكرة اليهودية، وقد قاده ذلك الشغف إلى العمل على لَمْلَمة تلك الذاكرة. انطلق على إثر هزيمة النازية في عملية ترحيل للأرشيفات والمخطوطات والمدونات اليهودية التي صادرها الألمان من مكتبات أوروبا. جمع الأمريكان على إثر احتلال ألمانيا كما هائلا من الوثائق في أوفينباخ في أحواز فرانكفورت، وعلى الفور تشكلت لجنة في الجامعة العبرية في السادس من مايو ١٩٤٥ تولاها شوليم، لمتابعة المسألة والسهر على جلب تلك الوثائق إلى القدس. تولى حينها شوليم مهمة نائب الرئيس في لجنة إعادة البناء الثقافي اليهودي وشغلت حنة أرندت منصب السكرتيرة.

فيمَ تتمثلُ الإضافة البارزة لشوليم في الدراسات الدينية اليهودية؟ تتلخصُ جذور الرؤية اللاهوتية لشوليم في الفكرة القابالية، حول تواري الإله وحول باطنية التراث الديني، وهو ما يلتقي في جانب منه مع الرؤية الدينية لموسى بن ميمون، الذي كان شوليم يدرس أطروحاته في الجامعة العبرية ضمن درسيْ الفكر القابالي والفلسفة اليهودية. فابن ميمون والقابَاليون كلاهما يرى الألوهية غير قابلة للإدراك المباشر والاستيعاب بوساطة العقل البشري، وإن قال القابَاليون بمفهوم الفيض الإلهي باعتباره البعد الذي يتيح للمرء الوعي بالألوهية. ولعل تلك المواضيع الكلاسيكية والمنبعثة مع القابَاليين، هي التي أوحت لشوليم بإمكانية عرض تصورات الألوهية في العالم الحديث. كما طرحَ شوليم فكرةَ الخلاص عبر الخطيئة، وهو موضوع أثير في لاهوت الحركة السابَتية لدى شوليم، لا سيما بعد اهتداء الزعيم سابتاي زيفي إلى الإسلام (١٦٦٦م) وهجرانه اليهودية.

ولعلَّ الانشقاق الأكبر في اليهودية القابالية، وهو ما تم مع اهتداء سابتاي زيفي إلى الإسلام وتحول جاكوب فرانك نحو الكاثوليكية، وإن تمايز وزن الانشقاقين لكون اهتداء سابتاي زيفي مثل زلزالا حقيقيا هز العالم اليهودي واختبارا عسيرا لليهودية على أبواب العصر الحديث.

ومن جانب آخر، ما الذي أضافه شوليم بالفعل لدراسة التصوف العبري من خلال كتابه ذائع الصيت «المذاهب الكبرى للتصوف اليهودي»؟ تبدو مقدمة الكتاب تأملات في العشرين سنة التي قضاها في دراسة التصوف اليهودي، والتي يظهر فيها بمثابة الباحث الأثري أمام ركام هائل من المخلفات الأثرية، تطلب عملا مضنيًا لإخراج ذخائر خفية من تحت الركام. القسم الأول من الكتاب هو عبارة عن مدخل عام طرح من خلاله شوليم أسئلة متنوعة، محاولا الإجابة عنها على غرار: ما التصوف؟ وما الذي

يميز التصوف العبري عن غيره؟ وما هي أطوار التصوف العبري؟ وعلى ما يخلص إليه شوليم، لا يصوغ المتصوفة العبران نصوصًا وسِيَرًا خاصة، يعرضون من خلالها تجربتهم مع الألوهية، بل يضعون سيرهم جانبا ليدونوا نصوصا ثيوصوفية يبحثون من خلالها في الديناميات الداخلية للألوهية. تتواصل متابعة دقيقة للمدونات الباطنية اليهودية عبر أقسام الكتاب الأخرى، وفي القسم الأخير يركز شوليم على الهاسيدية خلال القرن الثامن عشر وعلى الأحبار الكاريزميين وأتباعهم، وهو ما يشكل حسب نظره المرحلة الأخيرة من التاريخ القابالي.

وفي مؤلف «سابتاي زيفي»، وهو العنوان الإنجليزي لكتاب شوليم عن هذه الشخصية الإشكالية، الصادر سنة ١٩٧٣، مجهود كبير. حقق المؤلف رواجًا منقطع النظير في الأوساط الأنغلوفونية وعبر الترجمات أيضا. فقد عد البعضُ الحركةَ السابَتية حركة هامشية وعديمة الأهمية ضمن مسار تطور الفكر الديني اليهودي، في حين مع شوليم مثلت الدراما الرئيسة في تاريخ اليهود على أعتاب العصور الحديثة. بيّن شوليم كيف تمددت حركة سابتاي في أوساط يهود العالم، ولم تنحصر بتركيا العثمانية. بَيْد أن دراسة شوليم للسابَتية لاقت انتقادات من قِبل العديد، أبرزهم باروخ كورزويل، وهو أستاذ أرثوذكسي يهودي درس في جامعة بار إيلان في تل أبيب. اعتبر كورزويل أبحاث شوليم حول السابَتية هي مجرد محاولة تفسير لائكية لليهودية. عرض كورزويل شوليم ليس كمؤرخ، بل كأحد المدافعين الذين شايعوا السابَتية نظرًا لخاصياتيها العدمية، مرتئيا كورزويل أن السابَتية هي بالنهاية رفضٌ للخط التقليدي وتنكرٌ لسلطة الحاخامات. الواقع أن كتابة سيرة سابتاي زيفي قد دعمت شهرة شوليم، وجعلت منه أبرز الدارسين لليهودية في الحقبة المعاصرة.

وفضلا عن حضور شوليم الأكاديمي، كان شخصية ثقافية عمومية أيضا، لها تأثير واسع حتى خارج تخصصها العلمي. فغالبا ما كان شوليم يُستشار في القضايا الدينية والاجتماعية للمجتمع الإسرائيلي، حتى وإن كانت رؤيته لائكية للمسائل. يورد دافيد بياله عديد الأمثلة عن ذلك الدور: مع العام ١٩٧٠ أُثير الجدل مجددا في المجتمع الإسرائيلي بشأن قضية من هو اليهودي؟ وقد سبق أن أقر قانونُ العودة حق الجنسية للعائدين اليهود مباشرة، ولكن هل اليهودي هو وفق التعريف الهالاخي، أي كل متحدر من أم يهودية أم ذلك المتهود المعتنق للدين اليهودي، أم الأمر وفق التعريف النازي، كل من له جد عبري. وأثيرت كذلك قضية الجهة التي تتولى مراقبة التحول الديني. عندما أثيرت المسألة أدلى شوليم بدلوه معتبرًا اليهودية تجمعًا مفتوحًا حيا، وليست منحصرة في شكل بعينه، فاليهودية ظاهرة متحولة عبر التاريخ. رفض شوليم حينها التعريفات الدوغمائية لليهودي وانحاز إلى تعريف مفتوح.

وبخصوص الجدل الدائر حول حربيْ ٦٧ و ٧٣ كان لشوليم حضور مؤثر في الساحة، ففي أعقاب حرب ٦٧ التي تسنى فيها لإسرائيل تحقيق نصر قام نقاش في المجتمع الإسرائيلي دارَ حول ما الذي نفعله بالأراضي العربية المحتلة؟ وانقسم قادة الجيش والساسة إلى تيارين: أحدهما يميل إلى الضم والآخر يرفض ذلك الخيار، بدعوى أنه يدمر صورة إسرائيل الإنسانية والديمقراطية أمام العالم. كان شوليم حينها من أنصار الخيار الثاني، ووقع عريضة إلى جانب مجموعة من الشخصيات البارزة بعنوان «أَجَل للأمن والسلام.. ولا للضم». وفي السابع عشر من أكتوبر ١٩٧٣، في وقت كانت الحرب فيه مستعرة في الشرق الأوسط، أرسلَ شوليم رفقة مجموعة من الأساتذة في الجامعة العبرية رسالة استغاثة إلى «نيويورك تايمز» ناشدوا فيها الرأي العام الأمريكي بأن العرب بصدد تدمير إسرائيل.

آثرنا عرْضَ هذا الكتاب الذي يدور حول شخصية غرشوم شوليم لندرة الكتابة عنه في العربية ولانعدام الترجمة بشأنه، رغم الدور المحوري للرجل في الثقافة اليهودية المعاصرة.

· الكتاب: غرشوم شوليم معلم القابالاه.

· المؤلف: دافيد بياله.

· الناشر: دار كاروتشي (روما)، باللغة الإيطالية، 2019م.

· عدد الصفحات: 211 صفحة.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الإمكانيات الطبيعية المحدودة للأرض
أورليان بوتو ونتاشا غوندران

سعيد بوكرامي *

دخلنا منذ الثورة الصناعية في فترة غير مسبوقة من تاريخ الأرض، والتي يقترح البعض تسميتها بالأنثروبوسين، وهي حقبة جديدة تتميز بحقيقة أن الإنسان العاقل أصبح العامل الرئيس في تعديل التوازنات البيئية على نطاق الكوكب. يمكن لهذه الاضطرابات الناجمة عن الأنشطة البشرية أن تخرجنا من الظروف المواتية والمستقرة نسبيًا في حقبة الهولوسين (العصر الجيولوجي الحالي)، والتي استفدنا منها لأكثر من عشرة آلاف عام إلى مرحلة جيولوجية جديدة قد تكون نتائجها المتعمدة كوارث حقيقية على مستقبل الكائنات الحية. ومع مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اقترح باحثون من مختلف التخصصات إجراء جرد للعمليات البيئية الجارية، وما قد تؤدي إليه من انهيار لا محالة وشيك. لذلك؛ اعتنوا غاية العناية بالقضايا البيئية ودرسوا كل قضية على حدة، مقترحين الحدود الممكنة والتي من الأفضل عدم تجاوزها إذا كانت البشرية ترغب في الحفاظ على «النظام البيئي الأرضي» والعيش في ظروف ملائمة.

ولطالما كانت الحدود الطبيعة للتوسع البشري موضوعًا للنقاش، خاصة بين الاقتصاديين. كانت تقريبا طوال قرنين من الزمان حدود الموارد الطبيعية أساسًا هي جوهر الأسئلة بين فريقين من الباحثين. من جهة، اعتبر «المالثوسيون» (نسبة لطوماس مالثوس) أن النمو الاقتصادي والديموغرافي سينتهي به الأمر إلى التعثر بسبب استنزاف الموارد الطبيعية؛ الأمر الذي سيُؤدي بعد ذلك لانهيار الإنتاجية وستعقبها نتائج وخيمة اقتصادية واجتماعية. ومن جهة أخرى، يعتقد «الكورنوكوبيانسيون» (مصطلح يشير إلى أسطورة «الوفرة») أن براعة الإنسان ستتزايد إلى أجل غير مسمى وكذلك قدرته على استغلال الموارد الطبيعية؛ على سبيل المثال: من خلال تكثيف استغلاله أو عن طريق استبدال الموارد التي أصبحت نادرة، بأخرى من المفترض أن تكون أكثر صمودا ووفرة إنتاجية أمام الظروف الطبيعية.

وبدا الواقع لقرنين من الزمان، وكأنه يثبت أطروحة الكورنوكوبيانسيون؛ إذ بفضل تكثيف الزراعة والتدخل الجيني -واختراع الأسمدة على وجه الخصوص- زاد إنتاج الغذاء بشكل كبير، وبذلك خابت تنبؤات توماس مالتوس. كما مكنت آلية واستخدام الوقود الأحفوري من زيادة قدرات الإنتاج الصناعي؛ مما جعل مستوى المعيشة المادي يتحسن ويصبح في متناول عدد متزايد من الناس. لكن إذا حُلَّت مسألة الموارد مؤقتًا، فإن هذا التكثيف في استغلال الطبيعة لم يكن بدون عواقب على التوازنات البيئية؛ فقد أدى الاستخدام المكثف للأسمدة النيتروجينية والفوسفاتية، على سبيل المثال، إلى تعطيل الدورات الكيميائية الجيولوجية الحيوية بشكل خطير؛ مما تسبَّب في تلوث متعدد ومتكرر للبيئات المائية والبرية. أما بالنسبة للوقود الأحفوري، فلم يدرك الباحثون آثاره الضارة على النظام المناخي إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

لهذا؛ تحتل اليوم قضية الحدود البيئية للأرض أهمية قصوى، نتيجة معرفتها وتقصي إمكانياتها وطرح حلول لمواجهة حقيقية وعلمية لانتشار الهجمات الشرسة على «نظامها المناخي». شرع المجتمع العلمي منذ عدة سنوات في مشروع عاجل وطموح يتمثل في تزويد صانعي القرار وعامة الجمهور بنظرة عامة عن المتغيرات الرئيسة التي تحدد التوازن بين النظم البيئية على نطاق الكوكب، إلى جانب نوعية المناخ والتنوع البيولوجي. ومن بين الأطروحات الجادة والعملية ما يتناوله كتاب الباحثين أورليان بوتو وناتاشا غوندران « الحدود الطبيعية للأرض» الذي يعالج القضايا الأقل شهرة لدى عامة الناس، مثل اختلال التوازن في الدورات الكيميائية الجيولوجية الحيوية، وتغير استخدام التربة، وإدخال الملوثات البشرية في النظم البيئية أو زيادة الأحماض في المحيطات وتأثيرها على الكائنات البحرية. هذه كلها قضايا يحاول المجتمع العلمي الآن تعيين الحدود التي لا ينبغي تجاوزها إذا أرادت البشرية تجنب خطر الانهيار المحتمل.

ويبدأ الكتاب بتذكير مهم حول تفكير المجتمعات البشرية في البيئة بشكل متكرر وإدراكها لوجود حدود «طبيعية» للموارد، التي يسعى البعض لتجاوزها بينما يفضل البعض الآخر احترامها. بدءًا من المبدأ القائل بوجود «حدود للأرض» وصولا إلى التنمية الاقتصادية (والتي تعد الأزمة البيئية أحد مظاهرها)، يحدد أورليان بوتو ونتاشا غوندران كيف صيغت هذه الفكرة تاريخيًا (الفصل الأول) ثم يضعان كل المفاهيم المتعلقة بها في (الفصل الثاني)، قبل أن يقترحا مراجعة واسعة للأدبيات حول «العمليات الرئيسة لتنظيم أو مرونة نظام الأرض الذي استخلص المجتمع العلمي إمكانياته» في (الفصل الثالث إلى الفصل السادس). وفي الفصل الأخير يحددان بإيجاز بعض أسباب تجاوز الحدود الطبيعية المفصلة سابقًا.

ومنذ عهود قديمة، ربط الإنسان الحدود الطبيعية للأرض في كثير من الأحيان بالمسائل الاقتصادية حتى بدايات الصناعة في إنجلترا في القرن الثامن عشر. وفي ذلك الوقت، كان الملهمون الرئيسيون للاقتصاد الحديث، مثل سميث وريكاردو وساي يعتبرون الموارد الطبيعية غير محدودة لأنها متاحة مجانًا. يبدو أن مالثوس هو الاقتصادي الوحيد اليوم الذي وضع تصورًا للأرض وموارها كعامل مقيد للتنمية الاقتصادية (والديموغرافية). أثار هذا الموقف المعارض للفكر الاحتكاري العديد من المناقشات خلال القرن التاسع عشر، والتي انتهت مع ذلك بالتخلي عن الأراضي الطبيعية مقابل الأعمال الاقتصادية وأرباحها المالية. الآن، وفي ظل هيمنة الاقتصاد، لم يوضع مبدأ النمو على محك التساؤل إلا في السبعينيات من القرن الماضي، حيث أشار إليه تقرير «نادي روما» عن «حدود النمو». هذا التقرير الصادم كان مدعومًا بأحدث النمذجة المعلوماتية، التي ساعدت على توفير البيانات الاقتصادية والعديد من المتغيرات الأخرى التي خلخلت التوازن الطبيعي وغيرت المجتمعات البشرية. ومع ذلك، لم يول الاقتصاد المهيمن سوى القليل من الاهتمام لمفهوم الحدود الطبيعية للأرض، على الرغم من اكتشاف التغيرات العالمية الملموسة والخطيرة، التي أكدتها الأبحاث العلمية، التي اكتشفت ترقق طبقة الأوزون وظاهرة الاحترار العالمي، وواقع تمدد الأعاصير العملاقة وزيادة منسوب البحار.

إذن؛ فقد استمرَّت الدراسات العلمية حول حدود إمكانيات الكواكب الطبيعية من خارج علم الاقتصاد؛ حيث جمعت بين تحليلات توفر الموارد وتحليلات عمليات التنظيم أو المرونة في نظام الأرض. لم يلاحظ هؤلاء نقصًا في الموارد

فيما يتعلق بمورد واحد أو أكثر، لا سيما بسبب صعوبة تحديد الحدود في استخراج المواد الخام -كما يتضح من الخلافات حول تحديد ذروة النفط في بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وعليه، فإن المنظور النظامي لـ«علوم نظام الأرض» قد وسّع هذه المسألة الصعبة المتعلقة بالموارد إلى تلك المتعلقة بالتلوث الذي تولده الأنشطة البشرية المتزايدة.

وبعد ذلك، يحدّد الكاتبان تسع تطورات بيئية تشهد على حدود الإمكانيات الطبيعية لكوكبنا من أجل مراقبتها بشكل خاص. ثلاثة منها ذات بعد عالمي حقا: تغير المناخ وتحمّض المحيطات وتدمير طبقة الأوزون. أما الستة الأخرى فهي -تعطيل دورة النيتروجين والفوسفور، وتعطيل دورة المياه العذبة، وإزالة الغابات، وإلحاق الضرر بالتنوع البيولوجي، وشحن الغلاف الجوي بالجسيمات والتلوث الكيميائي- هي في الوقت الحالي أضرار محلية، لكنها ستصبح من خلال مجموعة من التراكمات عالمية أيضًا. وعلى الرغم من أنها وثيقة الصلة بسياق يهدف للإسراع في اتخاذ القرار السياسي، فإن مفهوم الحدود يطرح مشاكل منهجية كبيرة أمام العلماء، لا سيما فيما يتعلق بانعدام الثقة المتأصلة في هذا النوع من الدراسات. وهكذا، فإن الغرض من اقتراح مفهوم «الحدود الطبيعية للأرض» أن نأخذ بعين الاعتبار تحذير الباحثين فيما يتعلق بنتائجهم وكذلك بالتوقعات الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالقضايا البيئية. من خلال منظور هذا المفهوم الجديد، يقدم المؤلفان نظرة عامة وشاملة على النتائج الحديثة في علوم النظام البيئي للأرض.

ويبدأ الجرد المقترح بالحدود البيئية العالمية الثلاثة المحددة مسبقًا بين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٠، والتي سببت زيادة بمقدار خمسة أضعاف في الكمية السنوية من المركبات الكيماوية المنبعثة إلى الغلاف الجوي في تآكل طبقة الأوزون الستراتوسفير (O_3) من خلال تفاعل كيميائي بين هذه الجزيئات. وقد أدت التحذيرات العلمية حول الأخطار الصحية والبيئية لمثل هذا التدمير إلى تعاون دولي يهدف لإبطاء العملية. نجاحها -في الواقع، لا يتجاوز حدود الأوزون- لكنه ألهم المجتمعات فضيلة التعاون في المستقبل بين الدول بشأن التغيير البيئي العالمي. وفي خضم هذا التعاون يحظى تغير المناخ باهتمام خاص؛ لأنَّ الخلل في التنظيم الطبيعي للمناخ بواسطة الغلاف الجوي أضحى حقيقة لا مفر منها. نظرًا لتغير تكوين الغلاف الجوي بشكل دائم بسبب انبعاثات الغازات الدفيئة الكبيرة على مدار القرنين الماضيين؛ فقد تعطلت دورة الكربون؛ مما أدى لتعزيز تأثير الاحتباس الحراري. وفي ظل هذه الظروف الطبيعية، يعد ضروريًا تطوير الحياة على الأرض والحفاظ عليها، ولكن تأثير الاحتباس الحراري الإضافي الذي يميز تغير المناخ، له

عواقب سلبية متعددة على التنوع البيولوجي مثل تدمير بعض الكائنات وانخفاض المحاصيل الزراعية، وتهجير السكان... إلخ. جميع مؤشرات المناخ هي الآن باللون الأحمر: لقد تجاوزنا إمكانيات المناخ المتاحة، دون أن تتبعها تأثيرات سياسية كما كان الحال بالنسبة للأوزون. وسيؤدي اضطراب دورة الكربون أيضًا إلى تحمض البحار والمحيطات، لأن عزل الكربون في الغلاف الجوي لا يمكن أن يواكب الفائض المتزايد من الغازات الدفيئة المنبعثة.

إنَّ عواقب هذه الظاهرة مهمة بالنسبة للكائنات البحرية، لكنها تعزز أيضا التغيرات المناخية. ومن بين التغيرات البيئية المقلقة التي لم يتحدث عنها (حتى الآن) على نطاق عالمي، تلك المتعلقة بمرونة النظم البيئية وبيئاتها. وبالتالي، فإن تعطيل دورة النيتروجين من خلال الزراعة المكثفة يخرب عمليات التحلل الطبيعي/ وإعادة التكوين الطبيعي للتربة، كما تؤدي صناعة التعدين إلى اختلال توازن تدفق الفوسفات الحيوي للعديد من الكائنات الحية. وأخيرًا، يستحوذ الاستخدام البشري المفرط للمياه العذبة على الكثير من الموارد الأساسية للعديد من البيئات الطبيعية. وهذه العمليات المحلية الثلاث التي ترمز للأنثروبوسين بعيدة كل البعد عن كونها ظواهر معزولة: توجد حلقات تغذية مرتدة بين هذه الظواهر (وغيرها)، وأحيانًا حتى عندما يتم التعبير عنها بمقاييس مختلفة. ويُعتبر تطور التنوع البيولوجي في هذا الصدد مهمًّا للتأثيرات العابرة للحدود لهذه التغيرات البيئية؛ فالانقراض المحلي لبعض الأنواع الحية يقلل من التنوع النوعي والوظيفي، مما يؤثر بصورة ميكانيكية على توازن المحيط الحيوي. هذه البانوراما المحزنة للعديد من التغييرات البيئية تستند فقط إلى الاتجاهات المعروفة عند العلماء، التي يخصص لها أورليان بوتو وناتاشا غوندران فصلًا كاملا يعالج هذه القضايا البيئية، التي لا تزال حدود الكوكب الطبيعية المرتبطة بها غير معروفة؛ لذلك فهي تدعو للقلق والحذر والإسراع في اتخاذ القرارات والإجراءات الكفيلة بالتحسيس بها ومحاولة إيجاد حلول لها.

وهكذا يَقترح المؤلفان بضع طرق «للتعامل» مع محدودية الإمكانيات الطبيعية لكوكبنا. بالنسبة لعلماء الاجتماع، قد يفتقر هذا الفصل الأخير إلى العمق العلمي الضروري؛ نظرًا لأنَّ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للكارثة البيئية لم يتم تطويرها بشكل تام. يتضح هذا من خلال تعبئة الصيغة المثيرة للجدل I=PAT، والتي من المفترض أن تلخص الرهانات المتاحة للمجتمعات لحل الأزمة البيئية. ومع ذلك، فإن القضايا التقنية الكامنة وراء الاستجابات السياسية للاضطرابات البيئية موصوفة في الكتاب بدقة؛ على سبيل المثال ما يتعلق بالانتقال الزراعي والغذائي الضروري نحو نموذج جديد ومستدام. من مُؤاخذاتنا على الكتاب أنه يجعل عناصر المناقشة الوحيدة المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية عناصر هامشية نسبيًا بالنسبة لموضوع الكتاب. كما أنَّ المنهجَ التاريخي المعتمد في الفصل الأول يعيبه الاقتضاب بعض الشيء مما يقلل من فرصة فهم عميق لمفهوم الحدود رغم أنه كان موضوع تأملات فلسفية مهمة مع (إليش، إيلول، شاربونو...إلخ) وتأملات سياسية مع الفيلسوف (غورز)، بالتزامن مع التحديات العلمية الأولى لمبدأ النمو في سبعينيات القرن الماضي. وهذا المنظور الأوَّلي كان سيجعل من الممكن بلا شك إثراء الفصل الأخير ببضعة مسارات عن «تراجع النمو» وأسبابه، دون أن يكون من الضروري تلخيص الأدبيات الواسعة المكرسة له. ويبدو أن النواقص قليلة في الكتاب، تشفع لها جدية الكتاب وفائدته الكبيرة والتزام الكاتبين بقضايا بيئية راهنة وملحة وخطيرة.

- **الكتاب: "الإمكانيات الطبيعية المحدودة للأرض".**
- **المؤلف: أورليان بوتو ونتاشا غوندران.**
- **الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا، 2020م.**
- **عدد الصفحات: 126 صفحة.**

* كاتب ومترجم مغربي

الماضي القلِق...ذاكرة جرائم الدولة في روسيا ودول أخرى...نيقولاي إيبلي

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

إنه لمن الصعب بمكان، نفسيا وسياسيا وقانونيا، على دولة ما الاعتراف بمسؤوليتها في اقتراف جرائم تاريخية، فتعمد إلى نسبها لأعداء داخليين أو خارجيين، وفي أحسن الأحوال، إلى ربطها بظروف وفترات زمنية لا يُمكن القياس عليها بشروط أزمنة تالية. في روسيا لا يزال الاعتقادُ سائدا بأنَّ العديد من بلدان العالم تشهد مراجعة طوعية لماضيها، واستعادة نقدية لأحداثها التاريخية، وبأن روسيا الوحيدة في هذا المضمار ظلت عاجزة عن مُواجهة ماضيها.

وفقاً للباحث نيقولاي إيبلي فإن أحد دوافعه لتأليف هذا الكتاب يكمن في شعار «لن يتكرر ثانية» الذي رُفع في بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (وهو عبارة نُقشت بخمس لغات في نصب تذكاري أقيم في بلدة داخاو الألمانية عام ١٩٦٨). وفي الوقت الراهن يرد هذا الشعار بصورة مُتواترة في عناوين مؤلفات علماء السياسة والمحامين والمؤرخين، ناهيك عن عناوين مؤلفات الفنانين المعاصرين، بل إنه يتجاوز ورق الكتابة ليتسلق جدران المباني في البلدان التي ترزح تحت تاريخ ثقيل.

يشرح نيقولاي إيبلي، الباحث الروسي في سياسة التعامل مع أزمات الماضي، ما يحدث في روسيا اليوم، ولماذا لا يُسمح بتمرير الإدانة الرسمية للإرهاب الستاليني من خلال إجراءات عملية للسلطات، وما هي أسباب تصاعد الموجة الجديدة لاتهام الدولة في روسيا بالخيانة، ولماذا يتم دعم الرأي الأسطوري حول الحاجة إلى يدٍ قوية تدير المجتمع. إلى جانب هذا يتأمل المؤلف في مسائل ذات أهمية مختلفة من قبيل: ما هو وجه الشبه بين مناهضة الستالينية في تسعينيات القرن الماضي وسياسة استئصال النازية في ألمانيا؟ ولماذا لا يُريد المجتمع الدولي «نورمبرج جديدة»؟ لماذا لا يتمَّ الانتهاء من مُعالجة الصدمات التاريخية للمجتمع؟ وغيرها من المسائل.

خُصص الجزء الأول من الكتاب لوصف الوضع في روسيا حين هيمنت على البلاد ذكرى الماضي؛ ففي الفصل الأول يُحلل المؤلف عملية إنعاش صورة ستالين في مُنتصف العقد الثاني من قرننا السوفيتي الحالي، وكيف أدى ذلك إلى ازدهار الذاكرة الستالينية في السنوات الأخيرة. وفي الفصل الثاني يقدم الباحث فهما دقيقاً لقيمة هذا الإجراء (أي إنعاش الستالينية) والعمليات التي ارتبطت به، فيقودنا إلى رحلة قصيرة يضيء من خلالها زوايا من الحكم الستاليني نفسه. وفي الفصل الثالث يوصلنا إلى مرحلة إزالة الإرث الستاليني التي استمرت حتى بعيد انهيار الاتحاد السوفيتي. أما ما تبقى من فصول في هذا الجزء فيتناول فيها إيبلي الاستراتيجيات الراهنة للتعامل مع الماضي السوفيتي، مُقيّماً تأثيرها على مسيرة التحديث في البلاد.

يتضمن الجزء الثاني وصفاً لسيناريوهات التعامل مع الماضي الشائك في ستة بلدان اختارها المؤلف وفقاً لرؤية نموذجية تحيط بموضوع بحثه. فالأرجنتين مثالٌ لبلد تم فيه التعامل مع إرث الديكتاتورية من غير ربطه بعوامل خارجية إلا في الحدود الضيقة. كما أن التجربة الأرجنتينية قريبة من عدد من دول أمريكا اللاتينية الأخرى (البرازيل، تشيلي، المكسيك، السلفادور). أما الحال في إسبانيا فيتصف بما عرف اصطلاحًا باتفاق الصمت، وهو اتفاق أبرمته البلاد لعقود طويلة بشأن عنف الجنرال فرانكو ومؤيديه، وما تلا ذلك من اختراق للصمت، وفي هذا شبهٌ بالواقع الروسي الحديث. جنوب إفريقيا مثالٌ لدولة انقسمت حرفيًا إلى قسمين، لكنها استطاعت التغلب على انقسامها ونجحت في تطوير طريقة إيديولوجية فريدة للتسامح والمصالحة. أما بولندا فتنحو إلى مثال الدولة ما بعد الشيوعية، وهو تقارب سياسي ونفسي مهم للوضع الروسي، فضلاً عن حقيقة أنه يكشف بوضوح شديد عن آليات وضعف نفسية الضحية في التعامل مع الماضي. أما ألمانيا فتجاهل النظر إلى مثالها يقود إلى فشل في إجراء تحليلٍ كامل لسبر الماضي، وبالنسبة لروسيا، تحمل صعوبات وإخفاقات النموذج الألماني أهمية أكبر من نجاحاته. أخيرا هناك اليابان التي تعدّ بعيدة جدا عن روسيا، ثقافياً ونفسيا. مع ذلك، وبرغم هذا النأي بين البلدين، فإن التردد بين إنكار الإثم والاعتراف به (في حالة اليابان) يشبه إلى حد بعيد ما يحدث في روسيا. ويخلص المؤلف في هذا الجزء من كتابه بأن لدى الرفاق الذين يرزحون تحت وطأة ماضيهم ما يجمعهم للتعاون في تخطي ضائقتهم.

يبحث الجزء الثالث في كيفة الاستفادة من تجربة هذه البلدان لإيجاد السيناريوهات المُثلى لتعامل روسيا مع ماضيها. ففي الفصل الأول يضع المؤلف عملية التعامل مع الماضي في سياق آليات الانتقال من الديكتاتورية إلى الديمقراطية، ولكنه يشير إلي افتقار روسيا إلى العناصر الضرورية لمثل هذا السيناريو في وقتنا الحاضر. يتبعه العمل على معالجة ذاكرة الأسرة باعتبارها نموذجا أولياً لعملية وطنية شاملة وجذرية. أما البنود اللازمة لعقد اتفاق تصالحي مع الماضي فيحصرها المؤلف في الآتي: ١(تحمّل مسئولية الماضي بما فيه إدانة صفحاته المظلمة والامتنان لصفحاته المشرقة). ٢(تحديد شروط إنشاء اللجنة الروسية (النظيرة للغربية) لإظهار الحقيقة التاريخية والتصالح معها. ٣(تطوير البنية التحتية اللازمة لإطلاق مشروع المصالحة تمهيداً لطي صفحة الماضي).

منذ البداية يلفت المؤلف الانتباه إلى حقيقة أن العمل على الذاكرة إنما هو عملية ديناميكية غير خطية، تتجلى آليتها في التنقل المستمر بين الموضوعات، وفي سيولة الفئات التي يتم تحليلها. فعلى عكس الدراسات التاريخية، نجد أن الحديث عن الذاكرة ينطوي على توازن مستمر بين الفردي

والجماعي والنفسي والاجتماعي والفلسفي والقانوني. يقول الباحث في هذا الصدد: «في لحظة ما يبدأ حوار بين شخصين حول القمع الجماعي، ثم فجأة يتضح كما لو أنهما يعيشان في بلدين منفصلين، وبماضيين مختلفين. نستخلص من هذا أنَّ الحديث عن القمع ما هو إلا أسطورة وافتراء، ولكن، من ناحية أخرى، فالقمع حقيقة ملموسة عاشها الناس ذات يوم. ويتبين أيضًا أن الماضي المجرد، الذي لا يمكن إدراكه في واقعنا الآني والموضوعي، لا وجود له إلاّ في الذاكرة، والذاكرة (كما نعلم جميعًا) متحيزة وتنقاد للخداع بسهولة؛ وبدوره فإن عدم اليقين بالماضي يشكّل جزءا من مظاهر الحاضر، فيتحول التاريخ المجمّدُ، الذي لا يمكن التنبؤ به، إلى ذاكرة مزدوجة لهذه الدولة أو تلك، وبالتالي، إلى حقيقة مزدوجة تتجلى في الزمن المُعاش. ومن محاذير هذا الوضع، في أحسن الأحوال، أنه يؤدي إلى عدم القدرة على المضي قدمًا، وفي أسوئها، إلى صراع مفتوح»(ص: ١٤). ويدعم الباحث استنتاجاته باستشهاد ببيانات صادرة عن الهيئة الروسية للرأي عام ٢٠١٤ تفيد بأن نسبة المستطلَعين الذين يعتقدون بانتفاء أي قمع ستاليني جماعي هي ١٦٪ مقابل ١٨٪ وجدوا صعوبة في الإجابة. يقول الكاتب: «يبدو الأمر خارج حدود التصديق! إن اختلاف ردود الذين استهدفهم الاستبيان لا يقف عند تفاصيل الوقائع الماضية، بل حول حقيقة حدوثها جملة وتفصيلاً. إذن فالاختلاف على تقييمات الماضي يقودنا » بالنتيجة « إلى اختلافات في إدراك الواقع، ما يشير إلى أنَّ الأشخاص الذين اختلفت إجاباتهم على هذا السؤال إنما يعيشون في بلدان لها تواريخ مختلفة وخرائط متباينة» (ص: ١٥).

تمثل روسيا في هذا الكتاب مثالًا حيًّا لبلد ظل عاجزا طوال سنوات عدة عن مواجهة ماضيه وقراءته قراءة استبيانية واضحة. ولكننا، في الوقت نفسه، نتحدث عن مواجهة صعبة ومعقدة لا يوجد ما هو أكثر تعقيدا منها سوى الماضي الروسي نفسه، وتركته الهائلة. وبالنسبة لنجاح البلدان التي تود روسيا الاقتداء بتجربتها فهو نجاح مشروط بعد كل شيء. يتسائل المؤلف: «هل نعتبر بولندا مثالا سلبيا بالرغم من انتقالها الناجح من الديكتاتورية الشيوعية إلى العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي؟ وهل نعدُّ انتقال جنوب إفريقيا من الديكتاتورية البيضاء إلى

الديموقراطية عملاً ناجحًا؟ لقد فرَّ السكان البيض بشكل جماعي من هذه البلاد، وتفشت سلوكيات عدم المساواة، وما زال معدل الجريمة مُرتفعاً، وإن كان أقل بكثير مما كان عليه في منتصف التسعينيات». وفي هذا السياق نجد أن المثال الألماني غير ناجز هو الآخر، فيشير المؤلف إلى أن الجيل الجديد من الألمان لا يدركون، في كثير من الأحيان، فحوى الجدل الدائر لتحمّل أعباء الماضي، كما أن أيديولوجية النازيين الجدد لا تزال ملموسة في ألمانيا بشكل أو بآخر. ويخلص إيبلي إلى أن النجاح في التغلب على الماضي الشائك شبيه بالنجاح في علاج مرض خبيث، إذ يظل المرض غير قابل للشفاء، ومع ذلك فكل انتصار، وإن كان ضئيلاً، يعدُّ نجاحا في مسيرة الكفاح من أجل الحياة، وتغلباً على المستحيل، وبهذا المعنى فهو نجاح لا يخضع « أيضاً » لشروط جاهزة.

يقيّم المؤلف سلوك عدد من الحكومات في اعترافها بارتكاب جرائم تاريخية، واصفاً هذا الموقف بالغموض وبأنه غطاء لمآرب خفية. ويرى الباحث أن توقيت الاعتراف والتوبة عن أفعال ماضوية غالباً ما يأتي ضمن ظروف تاريخية معينة وذلك من أجل تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وبالتالي فهو اعتراف مخاتل، وتوبة غير نصوح، تماما كما أن التخلص من الماضي مسألة في غاية الصعوبة وشبه مستحيلة. يقول الكاتب: «وهكذا، فإن مدفوعات حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية بين أعوام ١٩٥١-١٩٦٥ المخصصة لتعويض إسرائيل يعدّ عملا غير مسبوق في الاعتراف بالمسؤولية عن جرائم النازيين، ولكنه مقرون بفوائد جنتها ألمانيا حيث أتيح لها تقديم نفسها في الساحة الدولية كشريك موثوق به وجدير بالائتمان، وسّهل لها تنفيذ خطتها الموازية للتصالح مع تاريخها مع اليهود، أي سياستها العكسية المتمثلة في دمج النازيين السابقين في المجتمع الألماني، الأمر الثالث يتمثل في الظهور كطرف مسالم حيال ألمانيا الشرقية (...) ولا يختلف الأمر في بولندا التي سمعنا اعتذاراتها عن المذابح اليهودية إبان فترة اندماجها بالاتحاد الأوروبي. لا يعني هذا أن أمثلة الاعتراف بالمسؤولية عن أخطاء الماضي غير صادقة أو سلبية، ولكن من المهم بمكان أن نُبصر ما تضمره من مصالح سياسية واقتصادية» (ص: ١٩).

تكمن أهمية كتاب نيقولاي إيبلي في حقيقة أن عموم المواطنين يشعرون بالحاجة إلى مناقشة ماضيهم والتوصل إلى أجوبة شافية عن أسئلته المتشعبة. وينبه الكاتب إلى ضرورة وضع إطار ديموقراطي يضمن للجميع حق المشاركة وإدلاء رأيهم، فكل ما هو غير معلن أو مخفي داخل المجتمعات المغلقة يمكن أن يصبح مصدرا لمختلف التجاذبات السياسية، بما فيها التجاذبات الخطيرة. بعبارة أخرى، تعتبر الذاكرة الشقية مولّدا كبيرا للطاقة ما زال يلقى بحمولته على المجتمع ويؤثر في نسيجه الحياتي، وقد يعمْد الكثيرون إلى استخدامه لأغراض سياسية. أما المشاريع والبرامج المخصصة لمراجعة الماضي المأساوي لأي بلد فتتولى مهمة تحويل هذا المولّد إلى مورد يغذي المجتمع بطاقة إيجابية؛ طاقةٌ تبني من أخطاء الماضي مستقبلا راسخا للأجيال القادمة، وأن تقطع السبل أمام القوى الساعية لتفرقة المجتمع وتمزيق لحمته الوطنية.

· الكتاب: الماضي القلق.

· المؤلف: نيقولاي إيبلي .

· دار النشر: نوفوي ليتيراتورني أوبوزريني/ موسكو/ 2020.

· اللغة: الروسية

· عدد الصفحات: 768.

*أكاديمية ومستعربة روسية

التنوع البشري.. بيولوجيا الجنس والعرق والطبقة ...تشارلز موراي

وليد العبري *

جَميع الناس مُتساوون، لكن كمَا يستكشف التنوُّع البشري فإنَّ جميع مجموعات الناس ليست متشابهة، وهو تحقيق رائع في علم الوراثة وعلم الأعصاب للاختلافات البشرية.. وتتمثَّل أطروحة التنوع البشري في أن التقدم في علم الوراثة وعلم الأعصاب يطيح بالعقيدة الفكرية، التي حكمت العلوم الاجتماعية لعقود. ويتكون جوهر العقيدة من ثلاث عقائد: الجنس هو بناء اجتماعي، والعرق هو بناء اجتماعي، والطبقة هي وظيفة الامتياز.. المشكلة هي أن العقائد الثلاث هي أنصاف الحقائق. لقد خنقُوا التقدم في فهم النسيج الثري الذي تضيفه البيولوجيا إلى فهمنا للعوالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي نعيش فيها؛ إنها ليست قصة يجب أن نخشاها. كتب موراي: «لا توجد وحوش في الخزانة، ولا توجد أبواب مخيفة يجب أن نخشى فتحها». لكنها قصة تحتاج إلى رواية. ويقوم التنوع البشري بذلك دون إثارة، اعتمادا على النتائج العلمية الأكثر موثوقية، والاحتفاء بكل من اختلافاتنا العديدة وإنسانيتنا المشتركة.

ويُؤمن تشارلز موراي بقيم التنوير: العلم والمعرفة والحقيقة والتقدم. مثل الشخصية الخيالية لودوفيكو سيتيمبريني -إنساني إيطالي مؤيد للتنوير في رواية توماس مان عام ١٩٢٤ الجبل السحري- ويعتقد موراي أنَّ العلم يوفر أفضل طريقة متاحة لإنتاج معرفة موضوعية عن أنفسنا والعالم. إن المعرفة عن أنفسنا والعالم أمر مهم وجيد؛ فهذه المعرفة ستقربنا من الحقيقة حول من نحن ومن أين أتينا، وستعزز التقدم البشري وتؤدي إلى مجتمعات أكثر ازدهارا وسلاما وعدالة ومساواة، إضافة إلى مزيد من الصحة والسعادة لسكانها.

إذا كان مونتسكيو -على سبيل المثال- قد زار الولايات المتحدة في منتصف القرن العشرين (كما فعل مواطنه الفرنسي ألكسيس دي توكفيل في العام ١٨٣١)؛ فربما كان يعتقد أن هذا البلد هو أقرب شيء إلى التجسيد لمُثله التنويرية. لكن إذا سافر إليها مرة أخرى في عام ٢٠٢٠، فقد يغير رأيه. وفي الوقت الحاضر، يرفض عدد متزايد من الأمريكيين (بما في ذلك أساتذة الجامعات وكتاب الأعمدة في الصحف والسياسيون البارزون) قيمة العلم والمعرفة والحقيقة والتقدم، أو على الأقل يشككون بشدة في ذلك. ويعتقد بعضهم أنَّ العلم هو تعبير ثقافي للمجتمعات الغربية، وليس أداة أفضل لشرح العالم من تنبؤات الشامان من قبائل الأمازون. ويعتقد البعض الآخر أن المعرفة والحقيقة هي أوهام خطيرة تعكس وجهة نظر خاطئة للواقع. هذا التقدم هو مجرد مفهوم استعمرت المجتمعات الغربية من خلاله المجتمعات الأخرى وأخضعتها؛ وبشكل أعم، فإن العلم والمعرفة والحقيقة والتقدم مجرد أدوات يسيطر بها الظالمون ويسيطرون عليها ويستغلونها.

وبالنسبة لهؤلاء الأشخاص، يعدُّ تشارلز موراي أحد أسوأ الأمثلة على الرجل الأبيض المتميز الذي، باسم العلم والمعرفة والحقيقة والتقدم، يُديم اضطهاد النساء والأقليات العرقية والإثنية والجنسية. لن يقرأ هؤلاء الأشخاص «التنوع البشري لموراي» على الإطلاق، أو «سيقرأونه» فقط لغرض تمزيقه. وسيسعد الكثير منهم بحرق جميع نسخ الكتاب، وسيبذلون قصارى جهدهم لمنع موراي من التحدث علنا عن الكتاب، أو أي شيء آخر، خاصة في حرم الجامعات.

وفي كتاب الجبل السحري، لدى سيتيمبريني خصم فكري، الماركسي اليسوعي ليو نافتا (شخصية مستوحاة من الفيلسوف الماركسي الهنغاري جورجي لوكاش)، والذي يشارك معه في مناظرات طويلة ومثقفة للغاية ومكثفة. نافتا يرفض مُثل التنوير التي روج لها سيتيمبريني -أهمية الحرية والديمقراطية والعقل والمعرفة والتقدم- ودافع بدلا من ذلك عن الجوانب العقائدية والسلطوية للكاثوليكية والشيوعية. ومن وجهة نظر مان، فإن تنفيذ العقيدة الكاثوليكية من قبل محاكم التفتيش الكنسية في أواخر العصور الوسطى وتطبيق الأيديولوجية الماركسية من قبل النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي في أوائل القرن العشرين يشتركان في بعض أوجه التشابه المهمة.. ابتكر مان شخصية نافتا لتمثيل مزيج من هذه المواقف.

وفي أمريكا القرن الحادي والعشرين، لا يتعامل المثقفون المناهضون للتنوير دائما مع خصومهم بأدوات جدلية حادة كما تفعل نافتا في الجبل السحري، لكنهم مثله يدعون إلى الرقابة والاضطهاد وحرق الزنادقة. ويتجاوز الاستقطاب بين المثقفين المؤيدين والمعارضين للتنوير في الولايات المتحدة الحدود السياسية التقليدية؛ إذ تعرض المثقف الليبرالي ستيفن بينكر للشيطنة والاضطهاد من قبل الليبراليين والتقدميين الآخرين بسبب تأليفه لكتب (مثل التنوير الآن: قضية العقل والعلم والإنسانية والتقدم، ٢٠١٨) التي تدعم قيم التنوير وتعززها. يعتبر موراي نفسه محافظا أكثر منه ليبراليا. ومع ذلك، يتم انتقادهم من قبل بعض الأشخاص أنفسهم.

وعلى الرغم من أنَّ المرء قد يجد بعض حُجج نافتا في الجبل السحري مقنعة تمام، إلا أنني سأتناول التنوع البشري لموراي من منظور سيتيمبريني. نظرا لأن الحروب الثقافية الحالية في الولايات المتحدة قد أسفرت بالفعل عن عدد كبير جدا من الضحايا؛ سأحاول أيضا تقليل العداء بين الطرفين المتحاربين، بدءا من تعليق حول عنوان كتاب موراي. وفي حين أن «التنوع البشري» هو عنوان فعال، فإنَّ العنوان الفرعي للكتاب «بيولوجيا الجنس والعرق والطبقة» هو خيار دون المستوى الأمثل. ربما كان العنوان الفرعي الأقل استفزازًا هو «علم الفروق الفردية والجماعية في العقل والسلوك». الكتاب يتجاوز علم الأحياء، ولا يفضل بالضرورة -أو

دائمًا- التفسيرات البيولوجية على التفسيرات البيئية. بشكل أكثر دقة، هو مراجعة للبحث العلمي فيما يتعلق بالاختلافات الفردية والجماعية في العمليات المعرفية والسلوك، ويشمل البحث الذي تتمُّ مُراجعته العديد من التخصصات: علم النفس، وعلم الاجتماع، والتعليم، والاقتصاد، وعلم الوراثة، وعلم الأعصاب، وعلم الأحياء السكاني، من بين أمور أخرى.

التنوُّع البشري كتابٌ رائع.. كتب موراي ملخصا موثوقا للأبحاث حول التنوع البشري، وسيكون كتابا تمهيديا رائعا للطلاب الجامعيين والخريجين، لكنه أيضا مورد قيم لكبار الباحثين والمعلمين. ويحتوي على قدر كبير من المواد عالية التقنية، لكن موراي يبذل جهدا قيما لضمان سهولة الوصول إلى هذه المواد التقنية. لم يكتب موراي كتابا يُقصد به أن يكون مثيرا للجدل أو مثيرا للجدل بشكل علني. نبرته احترافية للغاية، هادئة، شبه خافتة، ويبذل جهودا كبيرة لتجنب إثارة ردود فعل سلبية قوية. وعلى سبيل المثال، اختار الابتعاد عن البحث في علم النفس التطوري، كما اختار عدم الحديث عن «الأجناس» البشرية، ويتحدث بدلا من ذلك عن الجماعات البشرية التي نشأت في قارات مختلفة. رُبما تكون أكثر جوانب التنوع البشري جدلية هي عناوين الأقسام الرئيسة الثلاثة للكتاب: «الجنس هو بناء اجتماعي»، «العرق هو بناء اجتماعي» و«الطبقة هي وظيفة امتياز». وكان من الممكن أن يكون الكتاب فعَّالا بنفس القدر، مع عناوين أقسام أقل جدلية.

القسم الذي يفحص البحث عن الفروق بين الجنسين في الشخصية والإدراك هو الأكثر شمولا. تم تنظيم مراجعة الأدبيات حول أربعة مقترحات، يعتقد موراي أنها مدعومة إلى حدٍّ كبير بالبيانات: الفروق بين الجنسين في الشخصية متسقة في جميع أنحاء العالم، وتميل إلى الاتساع في الثقافات الأكثر مساواة بين الجنسين؛ في المتوسط، تتمتَّع الإناث في جميع أنحاء العالم بمزايا في القدرة اللفظية والإدراك الاجتماعي، بينما يتمتع الذكور بمزايا في القدرات البصرية -المكانية- وأقصى القدرات الرياضية، في المتوسط. تنجذب النساء في جميع أنحاء العالم إلى المهن التي تركز على الناس، والرجال إلى المهن التي تركز على الأشياء.

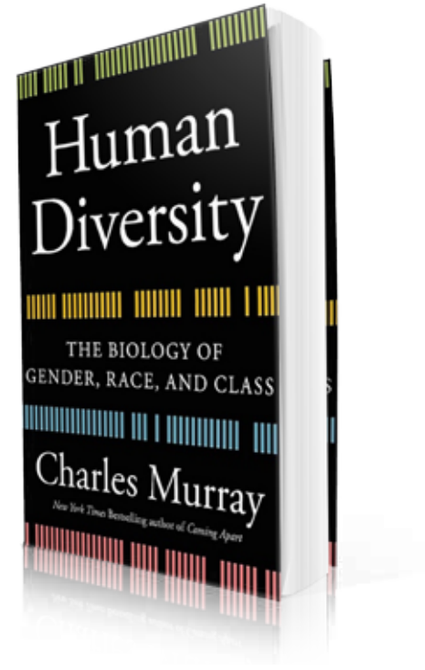

وتتوافق العديد من الفروق بين الجنسين في الدماغ مع الفروق بين الجنسين في الشخصية والقدرات والسلوك الاجتماعي.

القسم الثاني مُنظَّم حول ثلاثة مقترحات: «السكان البشريون متميزون وراثيا بطرق تتوافق مع العرق والإثنية المحددة ذاتيا، وكان ضغط الاختيار التطوري منذ مغادرة البشر لإفريقيا واسع النطاق ومحليا في الغالب، والاختلافات السكانية القارية في المتغيرات المرتبطة بالشخصية والقدرات والسلوك الاجتماعي شائعة».

أخيرا.. يتوصل القسم الثالث إلى الاستنتاجات التالية: «عادة ما تلعب البيئة المشتركة دورا ثانويا في شرح الشخصية والقدرات والسلوك الاجتماعي. ويعتمد هيكل الفئة بشكل مهم على الاختلافات في القدرات التي تحتوي على مكون وراثي كبير، والتدخلات الخارجية مُقيدة بطبيعتها في التأثيرات التي يمكن أن تحدثها على الشخصية والقدرات والسلوك الاجتماعي» (لكن موراي يتوقع أن هذا الاقتراح الأخير سيتم تزويره في النهاية، عندما تصبح التدخلات العلمية الجديدة والأقوى متاحة). ويتضمَّن التنوع البشري بعض المواد التي تم تقديمها بالفعل في كتب موراي السابقة، ومع ذلك، في التنوع البشري، تشمل مراجعة الأدبيات مئات المراجع للدراسات المنشورة في السنوات الخمس إلى العشر الماضية. يصف موراي الدراسات وإجراءاتها بدقة، ويمثل نتائجها بأمانة، ويتوخى الحذر في التفسير.

في كثير من الحالات، يقر بنقاط القوة والضعف في الدراسات، ويقدم تفسيرات بديلة للنتائج، ويضيف تحذيرات إلى الاستنتاجات. وقد يكون مفرطا في التفاؤل في اعتقاده أنَّ الدراسات على مستوى الجينوم ستكشف، في السنوات العشر إلى العشرين المقبلة، تماما عن تعقيد التباين في علم النفس والسلوك البشري، لا سيما بالنسبة للسمات التي لها تفاعلات جينية كبيرة في البيئة. لا يُدافع موراي أو يقترح أن يتولى علم الأحياء جميع تخصصات العلوم الاجتماعية، كما فعل آخرون في الماضي. يمثل بدقة نقاط القوة الحالية للبحث في علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والتعليم، ويتوقع مستقبلا مشرقا لهذه التخصصات إذا استمر ممارسوها في الحفاظ على عقل متفتح ودمجوا في عملهم أحدث التطورات العلمية في النظرية والأساليب والنتائج التجريبية.

يُحذر موراي مُقدَّما من أن القراء يقتنعون بأن الجنس والعرق والطبقة كلها بنيات اجتماعية، وأن أي ادعاءات بخلاف ذلك هي ادعاءات علمية زائفة. المشكلة في كون موراي «وحيدا» مع قرائه المفضلين، وهو يخاطر بالوعظ للجوقة؛ وبالتالي تقليل التأثير الذي قد يحدثه التنوع البشري على الأشخاص الذين سيستفيدون أكثر من قراءته: أولئك الذين لا يشاركونه آراءه، وأولئك الذين لم يشكلوا بعد رأيا قويا في موضوع هذا الكتاب. أولئك الذين يعتقدون أن أجندة موراي تهدف لإدامة اضطهاد الأقليات سوف يفاجأون عندما يعلمون أن موراي يهتم بشدة بالتدخلات لمساعدة الأطفال من الخلفيات المحرومة للتعبير عن إمكاناتهم الكاملة في المجتمع. لكن موراي يهتم بالتدخلات التي تستند إلى العلم الراسخ. إنَّ أجندته، إذا كان لديه واحدة، هي تعزيز قيم التنوير، وليس مصالح بعض الطبقة الحاكمة المتميزة.

- الكتاب: "التنوع البشري.. بيولوجيا الجنس والعرق والطبقة".
- المؤلف: تشارلز موراي.
- سنة النشر:2020م.
- عدد الصفحات:491 صفحة.

* كاتب عُماني

فيروس كورونا العدو غير المرئي... إنريكا بوريكيتتي ولوكا دي آوريا

فاتنة نوفل *

منذ جائحة الإنفلونزا الإسبانية وحتى اليوم لم ينجح أي عدو «غير مرئي» في فعل الكثير، ففي غضون بضعة أشهر أصاب فيروس كوفيد ١٩ مئات البلدان وتسبب في وفاة الآلاف ودفع منظمة الصحة العالمية إلى إعلانه وباءً عالميا.

كان هناك حالات مماثلة في الماضي مع أوبئة السارس أو إنفلونزا الطيور والخنازير أو فيروس الإيبولا؛ لكنها كانت ظواهر محلية في بعض المناطق المحددة، ولا يمكن مقارنتها بالوباء الحالي؛ إذ تحولت حياة كل فرد وربما إلى الأبد إلى واقع ألغى ألفي عام من تاريخ البشرية.

ويهدف هذا الكتاب -الذي كُتِبَ بالمشاركة بين الصحفية والكاتبة إنريكا بوريكيتتي والمحامي وكاتب المقالات لوكا دي آوريا- إلى طرح العديد من الأسئلة والإجابة عن العديد منها، وتقديم إطار عمل صحفي وتحليل فلسفي واجتماعي وأنثروبولوجي للوباء، وكيف تؤدي حالة الطوارئ الصحية إلى تغيير كبير في حياة كل فرد منا.

وفي الجزء الأول الذي حرَّرته إنريكا بوريكيتتي، أعيد بناء نشأة وانتشار الوباء مع تقديم التناقضات والفجوات في الرواية «الرسمية»، الهدف منه توثيق وجود نقاش ساخن حول العديد من النقاط الحاسمة التي لا تزال حتى الآن مُبهَمَة وغير محددة، لا سيما أصل ومكان وأسباب العدوى.

وفي الواقع، هناك فرضيات مختلفة مدعومة من قبل العلماء والمحللين البارزين والتي تختلف عن الرواية المبسطة التي عُرضت على الرأي العام.

إنَّ غُموض المعلومات السائدة الذي يرجع جزئيًا إلى الافتقار للشفافية في الإدارة الأولية للوباء من قبل الصين، وجزئيًا إلى نشر البيانات المتضاربة وغير الواضحة من قبل الهيئات المؤسسية والخبراء أنفسهم، تم إدراكها من خلال الرأي العام أنها متناقضة وحتى افتراضية. لأسابيع لم يتمكن حتى الصحفيين من فهم خطورة الموقف؛ حيث كانت تصريحات العلماء والأطباء مختلفة ومتناقضة للغاية.

وفي مقال نُشر في مجلة (Nature) عام ٢٠١٧، أثار ديفيد سيرانوسكي شكوكًا مقلقة بشأن سلامة مختبر ووهان؛ حيث كتب أن بعض العلماء خارج الصين كانوا قلقين بشأن تسرب مسببات الأمراض وإضافة «بُعد بيولوجي إلى التوترات الجيوسياسية » بين الصين والدول الأخرى، وذكر سيرانوسكي بالفعل التحذير الذي أثاره العديد من العلماء القلقين بشأن احتمال هروب مسببات الأمراض من مختبر ووهان.

ووفقًا لـ"The Lancet" وهي مجلة علمية طبية إنجليزية أسبوعية في دراسة أجراها العديد من الباحثين الخبراء في علم الفيروسات وعلم الأوبئة، فإنَّ فرضية نشأة العدوى من سوق السمك والتي أصبحت النسخة «الرسمية» لم تكن صحيحة بالكامل. وفي التقرير، أبرز العلماء أن ١٣ حالة من أصل ٤١ حالة التي تم فيها تتبع «المريض صفر» لم تكن على اتصال بسوق ووهان، مستبعدين وجود روابط وبائية بين المريض الأول والحالات الأخرى.

وصرح عالم الأوبئة وطبيب الرئة البارز تشونج نانشان -الذي اكتشف فيروس السارس التاجي في عام ٢٠٠٣- خلال مؤتمر صحفي في ٢٧ فبراير أنه على الرغم من ظهور الفيروس لأول مرة في الصين «ربما لم يكن قد وُلِدَ في الصين».

الاتهامات الرسمية ضد الولايات المتحدة والتي حولت النقاش إلى الرقعة الجيوسياسية في لحظة حساسة للغاية بالنسبة للحكومة الصينية التي تكافح من أجل إعادة تنشيط الاقتصاد الوطني، اتهم المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تشاو ليجيان، يوم الخميس ١٢ مارس عبر تغريدة لاذعة الحكومة الأمريكية بالمسؤولية عن نشأة الوباء: ربما يكون الجيش الأمريكي قد جلب فيروس كورونا إلى مدينة ووهان الصينية. وتردد صدى موقف ليجيان وشاركه العديد من الباحثين والمحللين. "CNN" على سبيل المثال، استذكرت في حلقة وصفتها الفصل الأول من كتاب: في أكتوبر الماضي كان مئات الرياضيين من القوات العسكرية الأمريكية في ووهان لحضور الألعاب العسكرية العالمية. واعترف مدير مراكز السيطرة على الأمراض (CDC) روبرت ريدفيلد في مقطع فيديو نشرته الـ"People's Daily"، أن بعض الأمريكيين الذين كانوا سابقًا -قبل بدء تفشي المرض في الصين- يُعتقد أنهم ماتوا بسبب الإنفلونزا التي كانوا مصابين بها وهي «كوفيد ١٩».

وتشير الفرضيات الأكثر تطرفًا -والتي تهدف لدعم فرضية الحرب البكتريولوجية، والتي هي جزء من الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين- إلى الكشف عن أن أحد أكثر البلدين تضررًا من العدوى وهما إيطاليا وإيران، الشريكان التجاريان للصين. لقد أضر الوباء في الواقع بطريق الحرير الجديد البرنامج الطموح للحكومة الصينية الذي يعتزم تمويل أكثر من ١٠٠٠ مليار دولار؛ بهدف بناء وتعزيز البنى التحتية التجارية -الطرق والموانئ والجسور والسكك الحديدية والمطارات- ومحطات إنتاج وتوزيع الطاقة وأنظمة الاتصالات في كل ركن من أركان الكوكب تقريبًا: إفريقيا وأوروبا والهند وروسيا وإندونيسيا.

كما أفاد العديد من الصحفيين بأنَّ أحدهم توقع ما سيحدث مسبقًا حيث تحدثت الصحيفة الإيطالية (Il Corriere della Sera) الصادرة في ٦ ديسمبر ٢٠١٩ في مقال بقلم جوزيبي سارشينا عن إنذار من محللي «وول ستريت»، عقب تحرك صندوق بريدجووتر الذي قرر الرهان على انهيار أسواق الأسهم في مارس للعام ٢٠٢٠. راي داليو مؤسس بريدجووتر دفع في الواقع ١,٥ مليار دولار لتوقيع عقود التأمين بهدف حماية المحفظة الإدارية. الممول نفسه خرج إلى العلن في ٥ ديسمبر موضحًا أن العملية في الواقع لم تكن وليدة عدم الثقة، لكنها كانت جزءًا من إستراتيجية إدارة خاصة لخدمة عملائه.

ويُوضِّح الكتاب أيضًا كيف تم استغلال حالة الطوارئ التي ضربت إيطاليا في الخارج لتشويه سمعتها وفتح الأبواب أمام المضاربات المالية؛ حيث تم التعامل مع إيطاليا حرفيًا على أنها «طاعون» وطال انتظار «المساعدة» من الاتحاد الأوروبي، ولم ترسل لها أي دولة في منطقة اليورو الأقنعة التي طلبتها، بل جاءت المساعدة من الصين، وقد طلبت عدة دول ملصقا «خاليا من الفيروسات»، وتم تصوير إيطاليا على المستوى العالمي على أنها بؤرة العدوى العالمية.

ليأتي بعدها المؤتمر الصحفي الكارثي لكريستين لاجارد رئيسة البنك المركزي الأوروبي، التي أغرقت سندات الحكومة الإيطالية لوضع اليد على الأصول الإستراتيجية لإيطاليا.

وفي الجزء الثاني من الكتاب الذي كتبه المحامي لوكا دي آوريا، يقول إن فكرة كتاب عن عصر فيروس كورونا وُلدت على وجه التحديد لمحاولة التغلب على الجدل الطبي وإلقاء نظرة أنثروبولوجية وفلسفية وقانونية واجتماعية على العالم الذي نعيشه. كان مصدر الإلهام هو أليسساندرو مانزوني أعظم كاتب في كل العصور في كتابيه The History of the Betrothed و Infamous Column، حيث كان قادرًا على بناء نصين كبيرين في علم الاجتماع والقانون يسردان قصة مدينة ميلانو والطاعون في القرن السابع عشر؛ مما يجعل لهذا الوباء خلفية لتتبع المجتمع بخصائصه؛ إذ يجب أن تعيد الأنثروبولوجيا والفلسفة على وجه الخصوص إعطاء الناس لمحة عن الواقع في الأوقات الصعبة مثل تلك التي نمر بها، يكون فيها التداول لأفكار أكثر أهمية لأنه من الضروري عدم ترك أدمغة الناس في الحساب التقني الطبي لعدد الضحايا والمصابين والمتعافين، والذين قد لا تظهر عليهم أعراض ما يجعلهم يشعرون بالخوف.

فالخوف هو مجرد جزء من عدة أجزاء في عملية التلاعب الاجتماعي التي كانت السلطة تتبناها منذ قرون. ويتم إحداث أزمة أو استغلالها لتنفيذ سياسات قد لا تحظى بشعبية لولا ذلك، لكن إدراك الصدمة سواء كانت ناتجة أو حقيقية أمر مشروع. وهنا يتساءل الكاتب عما إذا كانت هناك مجموعة ضغط خارج بلادنا قادرة على استغلال حالة الطوارئ الحالية لمصالح لا تهم المجتمع أو المنظمات القادرة على التخطيط واستغلال لحظات الأزمات لضمان أرباح كبيرة (ما يسمى كارثة الرأسمالية التي تحدث عنها نعومي كلاين في اقتصاد الصدمة).

وفي حالة الخوف، يشعر الرأي العام بالضياع كسجين ضحية التعذيب. يحتاج المجتمع المعرض لخطر أو بعد صدمة قوية إلى مرشد لأنه «فقد البوصلة» ويشعر بالشلل بسبب الذعر لدرجة قبول أي اقتراح أو تدخل يأتي من الأعلى.

وتستغل «رأسمالية الكوارث» لحظات الصدمة مثل الانقلابات والهجمات الإرهابية وانهيار الأسواق والكوارث الطبيعية والحرب التي تلقي بالسكان في حالة من الذعر الجماعي، لدفع المواطنين إلى قبول مناورات لا يتم قبولها في الظروف العادية.

ففي أعقاب الانفعالات العاطفية للأحداث المأساوية التي تستهدف عقل و«بطن» الرأي العام، من الممكن بالتالي تقديم تدابير لم يكن من الممكن تصورها في مناخ اجتماعي هادئ. اليوم، مع عسكرة البلد نواجه ما وصفه الفيلسوف جورجو أغامبين أي خلق «حالة من الخوف». كما في الماضي لا يسعنا إلا أن نأخذ في الاعتبار أن حماية الصحة يمكن أيضًا استغلالها واستخدامها لفرض قيود على الحرية وتعويد المواطنين على القيود المتزايدة على الحرية والخصوصية.

وفي هذه الأيام من الحجر الصحي القسري، نناقش ليس فقط التداعيات الطبية والقانونية والاقتصادية لحالة الطوارئ الناجمة عن فيروس كورونا، ولكن أيضًا كيف تغير مجتمعنا لا محالة من وجهة نظر أنثروبولوجية واجتماعية.

يبدو أنَّ الجائحة تحتاج إلى عزل لأن هذا المرض غير معروف علميًا وبالتالي لا توجد علاجات والخيار الوحيد لتجنب العدوى هو الحد من الاتصال البشري قدر الإمكان. كذلك، لقد أعيد بشكل غير متوقع إعداد العدالة سريعًا في شكل «ذكي»، مما جعل الممارسين القانونيين يأملون في استمرار هذه الدوامة الفاضلة حتى بعد انتهاء المدة التي ينتهي فيها الحجر الصحي. كان يكفي أن يتم إطلاق العنان لموضوع فيروس كورونا في المجتمع الأوروبي من أجل إعادة ظهور الاختلافات العميقة بين الأنظمة الثقافية المختلفة. من جهة التقليد النفعي والتجريبي الإنجليزي، والتقليد المثالي الألماني وأخيراً التقليد التضامني الكاثوليكي الأكثر نموذجية.

وأدَّت هذه الاختلافات الفلسفية في غضون أسابيع قليلة جدًا إلى تقويض المنظورات القانونية العالمية بتفضيل إعادة ميلاد الاختلافات الراديكالية بين المجتمعات الاجتماعية الأوروبية التي مثلت ليس فقط الكثير من النزاعات السياسية والدينية في القارة القديمة، بل بالأحرى أوجدت جدلا ثقافيا ثابتا يمثل الشخصية الحقيقية للغرب.

وتميز المُشَّرع الإيطالي بخيار جذري: حيث لأول مرة في تاريخ الجمهورية تم عزل الأمة بأكملها من خلال تطبيق أحكام المادة ١٦ من الدستور ودعم الحكم بالقوة القسرية للقانون الجنائي. تم هذا الاختيار باسم التضامن ومحاولة تقديم أشكال متساوية من الرعاية للمحتاجين. لقد تجنب العالم الأنجلوسكسوني قدر الإمكان أي شكل من أشكال تعديل الواقع من أجل عدم التأثير على «سيادة القانون» ومعها حقوق المواطنين حتى على حساب تكبدهم خسائر وعدم ضمان رعاية موحدة بين جميع المنتسبين.

ويفترض الكتاب أيضًا أنَّ أيام فيروس كورونا تمثل نقطة تحول حاسمة بين «العالم الذي كان» وعالم جديد بالكامل، كان ينبض بالفعل ويغير الإنسان من الناحية الأنثروبولوجية.

مثل هذا التعديل الجذري والحاسم في الشكل الأنثروبولوجي الثقافي للعلاقات الإنسانية لم يأت على المجتمع من الفراغ، لكنه ونتيجة عمل طويل وحاسم بشكل متزايد يرافقه تقدم التكنولوجيا وانتصارها في العقود الأخيرة؛ حتى ليبدو أنَّ هذا النموذج التكنولوجي الجديد كان ينتظر الفرصة المناسبة للكشف عن كل قوته، والذي بقي حتى الآن -وبشكل غامض- جزءا من لعبة عبثية في الحياة اليومية لا سيما باعتباره تسلية ذاتية المرجعية.

ما يتمُّ مناقشته في هذه الأيام من الحجر الصحي الإجباري، إضافة إلى التداعيات الطبية والاقتصادية لحالة طوارئ بسبب فيروس كورونا، وما يتبقى من وجهة نظر أنثروبولوجية واجتماعية من هذه الحياة الغريبة التي لم يعتد عليها أحد في الماضي ولم يعرفها أحد في السبعين عامًا الأخيرة لا في أوروبا ولا في الغرب بشكل عام.

حتى وزارة الداخلية ستكون متشككة في تعقب المصابين واتصالاتهم. وفي الواقع، تم إنشاء سابقة يجب تقييمها بدقة وتؤدي إلى عواقب لا يمكننا التنبؤ بها بعد. ماذا تتوقع للمستقبل؟

أتوقع أن المستقبل لن يطرح هذه المشكلة لأنه لن يتم تعقبنا جميعًا فحسب، بل سيكون لدينا أدوات ممتدة لأدمغتنا ستكون قادرة على تسجيل مَن أمامنا وفقَ ملفهم الاجتماعي الافتراضي. العديد من الأفلام تخبر هذا العالم بشخصيات التصميم البائس والمستقبلي. لكن من المؤكد أنه في الروتين اليومي لتحقيقات الشرطة هذا واقع بالفعل.

- العنوان: "فيروس كورونا العدو غير المرئي: التهديد العالمي.. نموذج الخوف وعسكرة البلاد".
- المؤلف: إنريكا بوريكيتتي ولوكا دي آوريا.
- دار النشر: مونادوري، إيطاليا، 2019م.
- عدد الصفحات: 227 صفحة.

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

المدائن السبع، رحلة في ألف سنة من التاريخ أو: كيف تناهت العلوم والمعارف إلينا... فيوليت مولر

عبدالرحمن السليمان *

هذا كتاب يؤرخ للتداول المعرفي في الفترة الممتدة من نهاية العهد الكلاسيكي في الغرب حتى عصر النهضة فيه. يختلف الكتاب عن غيره من الكتب التي أرخت للمعارف والعلوم بتركيزه على «خارطة المعرفة» وهي الطريق التي اتبعها سير المعارف والعلوم منذ سقوط الدولة الرومانية سنة ٤٧٦ ميلادية حتى عصر النهضة الأوربية. كما ينتمي الكتاب إلى تيار جديد في الغرب يحاول أن ينتهج الموضوعية في التأريخ للعلوم، وهو التيار الذي أسسه مؤرخ العلوم الشهير جورج سارتون في كتابه (مقدمة في تاريخ العلم). كتبت الكتاب بلغة سلسة كاتبة شابة اختارت، في أول عمل لها، أن تعالج موضوع انتقال المعارف والعلوم من ثقافة لأخرى من خلال سبع مدن أدّت دورًا مفصليًا في تاريخ المعارف والعلوم وتداولها لفترة ألف سنة تقريبًا تغطي ما يطلق عليه بالعصور الأوروبية الوسطى، أي الفترة الممتدة من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الميلادي.

يكتسب هذا الكتاب أهميته أيضًا من كونه خلاصة جيدة لأبحاث تاريخية وميدانية كثيرة في تاريخ العلوم عمومًا والرياضيات والفلك والطب خصوصًا، وانتقالها من «العصر الكلاسيكي إلينا» بطريقة موضوعية ومشوقة. تريد الكاتبة بـ «العصر الكلاسيكي» الحضارتين الإغريقية والرومانية، وتقصد بـ «إلينا» الأمم الغربية . إذن تركز الكاتبة في كتابها على الفترة الواقعة بين بداية العصور الأوربية الوسطى حتى عصر النهضة الأوربية، لذلك لم تتطرق الكاتبة في كتابها إلى العصور التي سبقت العصر الكلاسيكي، وإلى الحضارات السابقة، مثل حضارة العراق القديم ومصر والشام والجزيرة العربية القديمة. وقد يبدو من عدم التطرق للحضارات القديمة أن الكاتبة تجعل بداية العلوم والمعارف في «العصر الكلاسيكي»، أو أنها لم تتطرق للحضارات القديمة لتشعب الموضوع وقلة آلتها المعرفية فيه. لكنها صرَّحت في مقدمتها بأنها تريد أن تقتصر في كتابها على تلك الفجوة التاريخية الكبيرة في التأريخ للعلوم والمعارف، الواقعة بين القرن الخامس والقرن الخامس عشر الميلادي.

لا يعتمد تاريخ العلوم والمعارف على الحدود الزمنية التي تميز حقبة تاريخية عن حقبة تاريخية أخرى، ولا على الحدود الجغرافية التي تفصل ما بين الثقافات، لأن سير العلوم والمعارف الإنسانية وانتقالها من ثقافة لأخرى لا يتوقفان عند الحدود الزمانية والمكانية للحضارات والثقافات المتتابعة؛ فقد يكون سير تلك العلوم والمعارف من ثقافة لأخرى سريعًا تارة، بطيئًا تارة أخرى، ولكنه لا يتوقف. وكان سير العلوم والمعارف عارمًا في الفترة التي برزت فيها العلوم الإسلامية من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الميلادي، إذ أنارت هذه العلوم دياجير كثيرة في العالم، ومنها أوروبا. لكن ثغرةً في تاريخ كتابة العلوم والمعارف نشأت مع بداية عصر التجديد الأوربي، الذي كان رواده يركزون على الإرث الكلاسيكي لأوربا (الإغريقي واللاتيني)، لذلك اعتبروا عصور ما سواه اللاحقة عصورًا مظلمة. أدت هذه الثغرة، مع مرور الزمن، إلى التقليل من أهمية دور العرب والمسلمين وإسهامهم في تطوير العلوم والمعارف، بل تجاهل الكثير من إسهاماتهم، وذلك على الرغم من أن البحث العلمي في العصور الوسطى كان قائمًا بشكل رئيس على إسهامات العرب والمسلمين العلمية. وهذا ما أرَّخت له الكاتبة في كتابها هذا الذي انطلقت في مقدمته من وصف لوحة جدارية شهيرة للرسام والمهندس المعماري الإيطالي رفائلو (١٤٨٣-١٥٢٠) رسم فيها أفلاطون وأرسطو محاطَين بمجموعة من الأشخاص «لم يُتعرَف منهم إلا على شخص يرتدي عمامة شرقية، يُجمع المؤرخون بشأنه أن المُراد به إنما هو الفيلسوف العربي ابن رشد». وتضيف: «إن هذا العربي هو الشخص الوحيد الذي عُرف في الفترة الممتدة من سقوط روما حتى عصر النهضة». وتفسر هذه الرمزية الفنية كما جاءت في جدارية رفائلو على أن هذه الفترة الممتدة لألف سنة هي عصر ازدهار العلوم والمعارف في الحضارة العربية الإسلامية التي أسسها العرب وطوروها مع سائر الشعوب الإسلامية. وتعبر الكاتبة عن استغرابها من عدم معرفتها ذلك قبل مشاهدة جدارية رفائلو وتقول: «لم أسمع » خلال دراستي للعصر الكلاسيكي في المرحلة الثانوية والجامعية « بتأثير الحضارة العربية أو أية حضارة أخرى على أوربا». وتضيف: «لقد بدا تاريخ العلوم والمعارف وكأنه جملة مكونة من ثلاثة أقسام كما يلي: أولاً الإغريق، وثانيًا الرومان، وأخيرًا عصر النهضة». أما تلك الألف سنة الواقعة بين نهاية العصر الكلاسيكي وبداية عصر النهضة «فلا ذكر لها على الإطلاق في مناهج الدراسات الكلاسيكية». وتضيف الكاتبة أيضًا بأن هذه الحقيقة أصبحت صادمة لها عندما زارت جزيرة صقيلية مع زميلة لها «للقيام ببحث علمي ميداني لكتابة أطروحة التخرج». لقد اكتشفت في صقيلية أن الإرث الحضاري فيها «مكون من طبقات حضارية كثيرة منها الطبقة البيزنطية (آسيا الصغرى)، والطبقة الإسلامية، والطبقة النورماندية لاحقًا»، وهي طبقات لم تدرس عنها شيئًا أثناء دراستها للأدب الكلاسيكي وما إليه من تاريخ عام. وهذا بالضبط ما جعلها تكتب هذا الكتاب الذي أرادت من خلاله سد تلك الفجوة الكبيرة في التأريخ للعلوم والمعارف في الغرب، بطريقة شيقة تركز فيها على مدن شهيرة بدلاً من حقب تاريخية بعينها كما جرت العادة في التأريخ، في مسعى من الكاتبة لتقريب المادة من الجمهور غير المتخصص، وهو ما نجحت فيه نجاحًا باهرًا، يدل على ذلك ترجمة كتابها إلى لغات كثيرة فور صدوره.

لم تتطرق الكاتبة في كتابها إلى الفقرة السابقة للعصر الكلاسيكي (الإغريقي والروماني)، بل أحالت القارئ ضمنيًا إلى مؤرخ العلوم الشهير جورج سارتون الذي أرَّخ للعلوم في الحضارات القديمة (خصوصًا العراق القديم ومصر) والذي استشهدت بمقولة له في مقدمة كتابها حول أهمية عصر الحضارة العربية الإسلامية. فلقد سد جورج سارتون بكتبه الثغرةَ الكبيرة في تاريخ العلوم والمعارف الإنسانية، وعالج كل مصادر الحضارة القديمة والحديثة. وتتجلى نظرة سارتُن إلى تاريخ العلم في هذا السياق بنقض فكرة «المعجزة الإغريقية» التي نشأت في عصر التجديد الذي كان رواده يرون أن العلوم والمعارف الإنسانية ولدت ونشأت في اليونان، فيقول في هذا السياق في مقدمة كتابه (مقدمة في تاريخ العلم): «من السخافة أن نؤكد على نشأة العلوم في اليونان في حين مهد لهذه «المعجزة الإغريقية» خلال عشرات الألوف من السنوات في مصر وبلاد ما بين النهرين . لقد كانت العلوم اليونانية حركة نهضة أكثر منها إبداعًا واختراعًا». لقد وضع سارتون، وهو أستاذ الكاتبة الروحي، «المعجزة الإغريقية» في سياقها الطبيعي، حيث إن الإسهامات المصرية والبابلية والشرقية القديمة كانت تمهيدًا للعلوم الإغريقية فيما بعد، وأن الحديث عن علوم اليونان دون الإشارة إلى ما سبقها في بابل ومصر إنما هو تزوير للتاريخ: «لا يعتبر التأريخ للعلوم القديمة دون تزويد القارئ بمعلومات كافية عن العلوم الشرقية ناقصًا فحسب، بل مزورًا أيضًا»، والكلام لسارتون. وهذا النهج نفسه اتبعه في التأريخ لدور العرب والمسلمين وإسهامهم في تطوير العلوم والمعارف في العصور الوسطى، إذ رد الاعتبار لهم أسوة بالحضارات الشرقية التي ذكرتها، وهو المنهج الذي اتبعته الكاتبة في كتابها هذا، مع فارق أن كتاب سارتون ضخم ومتخصص جدًا، بينما كتابها، موضوع المراجعة، مختصر وموجه لجميع القراء.

اختارت الكاتبة أن تعالج هذه الفجوة التاريخية من خلال تسليط الضوء على سبع مدن هي بالتوالي: الإسكندرية، وبغداد، وقرطبة، وطليطلة، وساليرنو، وباليرمو والبندقية. بدأت الكاتبة بالإسكندرية في القرن السادس الميلادي، واختارت الحديث عن مكتبتها الشهيرة التي بناها الملك المصري بطليموس الأول حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد. تقول الكاتبة: «هنا في الإسكندرية ولدت فكرة جمع العلوم والمعارف في مكان واحد من خلال تحرير نسخ من كل المؤلفات، وإتاحتها للناس». بهذا أصبح جمع ما توفر من العلم وإتاحته للقراء على مختلف مستوياتهم حلم جميع المكتبات والوراقين في العالم القديم والعالم الحديث فيما بعد. وتضيف: «لقد بلغ من حرص أصحاب المكتبات على إثراء مكتباتهم أن اتبعوا جميع الوسائل، حتى غير الأخلاقية منها، كي

يوسعوا مكتباتهم ويثروها بكل شيء جيد». أدى هذا التنافس بين المكتبات التي أنشئت تباعًا إلى نشوء ثقافة مكتبية واسعة وإلى إنشاء مكتبات تحتوي على معظم الكتب المتاحة وفي معظم العلوم والمعارف الموجودة آنذاك. وبفضل جمع هذا الكم الكبير من الكتب «أصبحت الإسكندرية زمن البطالمة أهم مركز علمي معرفي في العالم. لقد تجاوزت الإسكندرية أثينا وروما «وأصبحت أنموذجًا علميًا جديدًا يحتذى به في دول البحر الأبيض المتوسط. ثم تلقي الكاتبة الضوء على أشهر علماء الإسكندرية، وهو العالم الرياضي والفلكي والجغرافي بطليموس صاحب (كتاب المَجسطي) الذي أدى دورًا مهمًا في تاريخ علم الفلك.

المدينة الثانية التي توقفت الكاتبة عندها بالتفصيل: بغداد، عاصمة الدولة الإسلامية، تستعرض الكاتبة أهمية مدينة بغداد وعظمتها منذ تشييد أبي جعفر المنصور لها في القرن الثامن حتى العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية الذي تجعل بدايته مع هارون الرشيد (٧١٤-٧٧٥)، «ليس ذلك الخليفة الطريف الذي نعرفه من خلال حكايا ألف ليلة وليلة، بل ذلك القائد العسكري الكبير والمحنك»، ومع ابنه المأمون (٧٦٣-٨٠٩). كانت بغداد وقتها أكبر مدينة في العالم و«بوتقة انصهر فيها العرب والفرس والترك والأفارقة والهنود واليونان والصقلب واليهود والنصارى والصابئة» وغيرهم «ممن جذبتهم خيرات المدينة العلمية والفكرية والمادية». ثم تذكر الكاتبة عددًا من العلماء الكبار الذين درسوا أو عاشوا أو عملوا في بغداد كابن جرير الطبري صاحب التفسير الشهير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) و(تاريخ الأمم والملوك) وغيرهما من الكتب الجليلة؛ وكذلك ابن النديم صاحب كتاب الفهرست وغيرهما. وتعالج الكاتبة باستفاضة إنشاء بيت الحكمة في بغداد وأهميته بالنسبة إلى تطور العلوم. لقد أدت حركة الترجمة التي نشأت في بغداد إلى ترجمة كل العلوم والمعارف المعروفة آنذاك إلى اللغة العربية. وهذه أول محاولة في تاريخ البشرية لتوحيد النشاط العلمي في لغة واحدة هي العربية التي أصبحت في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي اللغة العلمية التي يتواصل العلماء بها من الهند حتى الأندلس. وهذه نقلة نوعية كبيرة في تاريخ المعارف والعلوم لا تشبهها أية نقلة سابقة لاتساع الرقعة الجغرافية من جهة ولأن العرب ترجموا إلى لغتهم العربية كل ما تناهى إليهم أو ما وعثروا عليه من علم يوناني وفارسي وهندي وصيني فضلاً على العلوم التي تووثت بطريقة عملية في الدول التي فتحوها كعلوم العراق القديم والشام ومصر وغيرها. وتمثل الكاتبة على أهمية توحيد ممارسة العلوم في لغة عالمية واحدة بعلم الجبر الذي وضعه محمد بن موسى الخوارزمي (توفي حوالي ٨٤٧). درس الخوارزمي في بيت الحكمة في بغداد علم الفلك الذي وضع البابليون أصوله، كما درس ما تناهى إليه عبر الترجمة من حساب الهند وهندسة اليونان، وذلك كله باللغة العربية. لقد كانت دراسة هذه العلوم قبل ترجمة العرب لها إلى العربية مقتصرة على أهلها (ومنهم الهنود والفرس واليونانيين) وبلغاتهم المحلية (السنسكريتية والفارسية واليونانية). فمكّنت إتاحتها كلها بلغة واحدة، هي العربية، الباحثين كالخوارزمي وغيره من الاطلاع على نتائج ما كتب في القرون الخالية من علوم والتأسيس عليها لتطويرها. «وهذا ما مكنّه من وضع علم الجبر وتطويره ليصبح علمًا مستقلاً مختلفًا عن الهندسة اليونانية والحساب الهندي» البسيط. وعندما ترجم المستعرب الإنكليزي روبرت كاسترنسيس (Robertus Castrensis) سنة ١١٤٥ كتاب (كتاب الجبر والمقابلة) للخوارزمي إلى اللاتينية، واجهته مشكلة المصطلحات العلمية الجديدة التي ابتكرها الخوارزمي والتي ليس لها مكافئات وظيفية في اللغة اللاتينية، فتغلب على هذه المشكلة بالوضع

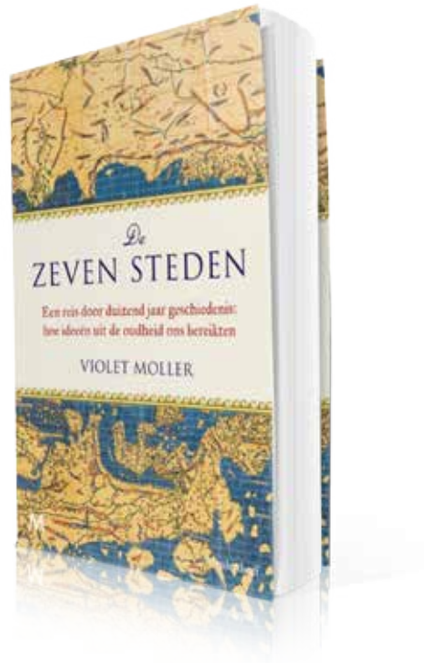

تارة وباستعارة الكلمات العربية وإدخالها في اللاتينية تارة أخرى. ومما استعار هذا المترجم: اسم العلم الجديد: (الجبر) الذي رَوْمَنَه في اللاتينية بـ (algebra)، و(الصفر) الذي رومنه في اللاتينية بـ: zero. وقد تفرَّعت عن مادة (صِفر) العربية كلمات عالمية كثيرة تدل على (الصفر) مثل zero وكذلك cipher في الإنكليزية، و cero في الإسبانية ومثله كثير في كل لغات البشر تقريبًا. كما تفرعت عن مادة (صفر) العربية كلمات عالمية كثيرة تدل على (الأعداد) مثل chiffre الفرنسية، وcijfers الهولندية، ومثله في معظم لغات البشر. ومن الكلمة الفرنسية chiffre – وتنطق بالعربية هكذا: (شِفْرَه) « اشتقت كلمة (شِفرة/شيفرة) التي نستعملها أحيانًا في العربية للدلالة عن الخوارزميات الحاسوبية. وحتى اسم الكاتب « الخوارزمي « أنتج في اللاتينية وبعدها في الإنكليزية وسائر لغات العالم مصطلح (Algorithm) أي الخوارزميات. ولعل أطرف ما نتج عن هذه الترجمة أن حرف الشين الذي وظفه الخوارزمي في كتابه كناية عن العدد المجهول، وهو مختصر كلمة (شيء)، قد رومنه المترجم بحرف الـ (X) ذلك أن المترجم تعلم وعاش في إسبانيا، وبما أن الإسبان كانوا يرسمون صوت (الشين) في لغتهم هكذا (X)، فقد نقل المترجم حرف الشين إلى اللاتينية بالـ (X) معتمدًا في رسمه على النطق الإسباني له أي (شين). أما سائر الأمم الغربية، ومنها الإنكليز والفرنسيون، فيلفظون الـ (X) «إكس» وليس شينًا. ثم أصبح لهذا الرمز الرياضي الدال على العدد المجهول استعمال مجازي للدلالة على الشخص المجهول.

ثم تستعرض الكاتبة الحركة العلمية في الأندلس وأبرز علمائها وأهمية عاصمتها قرطبة ودورها في تطور العلوم والمعارف في غرب العالم الإسلامي. تقول: «لقد انتقلت العلوم والأفكار من مشرق الدولة الإسلامية إلى مغربها واستقرت في قرطبة» التي أصبحت بوتقة انصهر فيها العرب والأمازيغ واليهود والقوط في جو ساده التسامح الديني والنشاط العلمي. وهذا ما جعل من قرطبة مركز المعارف والعلوم في الغرب أو «بغداد ثانية» برز فيها علماء كبار مثل ابن رشد وابن حزم واليهودي موسى بن ميمون وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين الذين تُرجمت أعمالهم فيما بعد إلى اللاتينية وتركت في الغرب أثرًا كبيرًا.

وعلى الرغم من أهمية قرطبة العاصمة فإن مدنًا أخرى كانت توازيها في الإشعاع العلمي وأهمها طليطلة التي استردها الإسبان سنة ١٠٨٥ بعد حصار دام تسعة أشهر. تكتسب طليطلة أهميتها من كونها واحدة من أمهات المدن في الأندلس ومن موقعها على الحدود بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، «مما أهّلها لأداء دور الجسر الفكري بين هذين العالمين»، خصوصًا «وأن اللغة العربية بقيت تستعمل لغة رسمية إلى جانب الإسبانية حتى منع استعمالها سنة ١٥٨٠» أي بعد خمسة قرون من سقوطها بيد الإسبان. وهذا ما جعلها « منذ البداية » عامرة بالمكتبات الغنية بالكتب العربية التي استقطبت المترجمين من كل مكان «وأهمهم الفلكي جيراردوس كريمونينسيس (١١١٤-١١٨٧) الذي هجر موطنه إيطاليا بحثًا على كنوز العلوم العربية». استقرَّ جيراردوس في طليطلة، حيث تعلم العربية، وترجم سبعين كتابًا في العربية إلى اللاتينية مؤسسًا بذلك لتقليد علمي أطلق عليه فيما بعد اسم «مدرسة طليطلة للترجمة» حيث تُرجمت أمات كتب العلوم من العربية إلى اللاتينية لتؤسس بذلك لعصر النهضة الأوربية. ومن أبرز المترجمين في هذه المدرسة «الفرنسي جلبير الأورلياكي (٩٤٦-١٠٠٣) الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣». ترجم جلبير الأورلياكي، الذي درس العربية في الأندلس وفي جامع القرويين في فاس أيضًا، العديد من الكتب الفلكية والرياضية، وإليه يُنسب إدخال الأعداد العربية والنظام العشري العربي في الاستعمال في أوربا.

من الكتب التي ترجمها جيراردوس من العربية: (كتاب المَجسطي) للفلكي الإسكندراني بطليموس. ولعل في ترجمة عنوان هذا الكتاب المهم ما يمثل التداخل المعرفي واللغوي بين الثقافة اليونانية والثقافة العربية والثقافة اللاتينية في عصر النهضة خير تمثيل. فعنوان هذا الكتاب المهم في تاريخ الفلك في اليونانية هو: (μαθηματικὴ σύνταξις/ماثيماطيقي سينتاكسيس) «الترتيب الرياضي». ثم سمي فيما بعد (Η μεγάλη σύνταξις/إي ميغالي سينتاكسيس) «الترتيب الكبير»، وبعد ذلك (Η μεγίστη σύνταξις/إي مَجِسْطي سينتاكسيس) «الترتيب الأكبر» « باسم التفضيل. وهذا العنوان الأخير هو الذي نقل إلى العربية بـ (المَجسطي) الذي ترجمه جيراردوس إلى اللاتينية بـ (Almagestum) بدلاً من عنوانه اليوناني الأصلي. ولعلَّ في اختيار جيراردوس لعنوان الكتاب بنطقه العربي المحلى بأل التعريف العربية (= Almagestum) عنوانًا للترجمة اللاتينية بدلاً من الأصل اليوناني (= إي مَجِسْطي سينتاكسيس) ما يدل على النظرة العالية للعلوم العربية في العصر الوسيط.

· العنوان: المدائن السبع. رحلة في ألف سنة من التاريخ أو: كيف تناهت العلوم والمعارف إلينا.

· الكاتب: فيوليت مولر (Violet Moller)

· الناشر: دار مولن هوف بوكري - أمستردام، هولندا

· اللغة: الهولندية

· عدد الصفحات: 319 صفحة

· سنة النشر: 2019

* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا.

كتاب تنظيم الوقت
كارلو روفيلي

زينب الكلبانية*

لماذا نتذكر الماضي وليس المستقبل؟ ماذا يعني أن الوقت «يتدفق»؟ هل نحن موجودون في الزمن أم أن الزمن موجود فينا؟ في النثر الغنائي الذي يسهل الوصول إليه، يدعونا كارلو روفيلي إلى التفكير في أسئلة حول طبيعة الوقت، والتي لا تزال تحير الفيزيائيين والفلاسفة على حدٍ سواء. بالنسبة لمعظم القراء، هذه عوامل غير مألوفة.

كلنا نختبر الوقت، ولكن كلما عرف العلماء عنه أكثر، ظل غامضا. نعتقد أنها موحدة وعالمية، تتحرك بثبات من الماضي إلى المُستقبل، مقاسة بالساعات. يمزق روفيلي هذه الافتراضات واحدة تلو الأخرى، ويكشف عن عالم غريب يختفي فيه الوقت عند المستوى الأساسي. يشرح كيف تحاول نظرية الجاذبية الكمومية أن تفهم وتعطي معنى للمناظر الطبيعية المتطرفة الناتجة عن هذا العالم الخالد. وهو ينسج معاً أفكارا من الفلسفة والعلوم والأدب، ويقترح أن إدراكنا لتدفق الوقت يعتمد على منظورنا، وهو فهم أفضل بدءا من بنية دماغنا وعواطفنا أكثر من الكون المادي. يعد كتاب «تنظيم الوقت» من أكثر الكتب مبيعًا في العالم، وقد كتب بالحيوية الشعرية التي جعلت من سبعة دروس موجزة في الفيزياء جذابة للغاية، ويقدم تقديرا ذكياً للغاية وغنيا ثقافيا ومبتكرا لأسرار الزمن.

شرع الفيزيائي الإيطالي كارلو روفيلي في زعزعة أفكارنا الشائعة حول الوقت. بالاعتماد على أحدث الأبحاث في مجاله موجهاً قراءه بعناية من خلال الحقائق الزمنية المحيرة والمضادة للحدس. على طول الطريق، يشرح لماذا يتحرك الوقت بسرعات مختلفة في أماكن مختلفة، ولماذا يتكون العالم من أحداث بدلا من أشياء؟ ولماذا لا يوجد تاريخ البشرية بدون طاقة الشمس؟. وكذلك يتحدث الكاتب، كيف تعمل نظرية النسبية لأينشتاين؟ لماذا يجعلنا مفهومنا اليومي للوقت ما نحن عليه كنوع؟ وماذا سيحدث إذا حاولنا التواصل مع شخص ما في مجرة مختلفة.

الفكرة الأولى في الكتاب هي «لا يتحرك الوقت بشكل موحد ويرتبط بشكل أساسي بالحرارة»، إذ إن المظاهر قد تكون خداعة. هذا أحد الدروس الأولى في العلوم. بعد كل شيء، إذا كنت تثق في عينيك وحدك، فمن المحتمل أن ينتهي بك الأمر إلى الاعتقاد بأن العالم مسطح، الشيء نفسه ينطبق على الوقت. في الحياة اليومية، نرى الوقت كحركة أمامية موحدة - شيء يحدث للتو - مثل دقات ساعة أبدية خارجة عن إرادتنا تماما، لكن هذا افتراض خاطئ.

في الواقع، يمر الوقت بسرعات مختلفة في أماكن مختلفة. قارن بين ساعتين، حيث يتم وضع إحداهما على مستوى سطح البحر والأخرى في أعالي الجبال، وستجد أن الثانية تعمل بشكل أسرع. إن وضع ساعة على الأرض وأخرى على طاولة له نفس التأثير: الاختلافات ضئيلة، وستحتاج إلى ساعة دقيقة لإثبات ذلك، لكن الساعة الثانية ستعمل دائما بشكل أسرع.

ليس الوقت فقط هو الذي يتباطأ عند القياس عند مستوى أدنى، كل العمليات تفعل ذلك. قم بتجربة فكرية بسيطة، صديقان من نفس العمر، يذهب أحدهما للعيش على الشاطئ والآخر على قمة جبل. بعد سنوات، التقيا. النتائج؟ سوف يكون ساكن الجبل قد تقدم في السن وعاش لفترة أطول من زميله في الأراضي المسطحة. حتى نباتاته المنزلية ستنمو أكثر! يبدو الأمر مستحيلا، ولكن لا يوجد شيء مثل هدف واحد أو مقياس «حقيقي» للوقت يمكن تطبيقه في الجبال وعلى مستوى سطح البحر. ذلك لأن الأوقات متناسبة مع بعضها البعض، كل نقطة على الخريطة لها وقتها الخاص. هذا، بعبارات بسيطة، كان البصيرة المركزية لنظرية النسبية العامة لألبرت أينشتاين.

كما لو أن هذا لم يكن محيرا بدرجة كافية، تلعب الحرارة أيضا دورا في هذه الديناميكية. في الواقع، تشترك الحرارة والوقت في تشابه أساسي، كلاهما يمكنهما السفر في اتجاه واحد فقط. ينتقل الوقت من الماضي إلى المستقبل، بينما تنتقل الحرارة دائما من الأجسام الأكثر سخونة إلى الأجسام الباردة. في كلتا الحالتين، فإن عكس تلك الحركة أمر مستحيل. ولكن هنا حيث تصبح الأشياء مثيرة للاهتمام حقًا، لا يمكننا إلا أن نفرق بين الماضي والمستقبل بسبب الحرارة.

دعونا نكسر ذلك. يختلف الماضي عن المستقبل بالتغيير. لكن التغيير ممكن فقط إذا كانت هناك حركة. وإذا نزلت حقاً، فإن الحركة هي ببساطة حرارة، حركة الجزيئات على المستوى المجهري. بعبارة أخرى، بدون حرارة، لن يتحرك شيء، ولن يكون الماضي والحاضر والمستقبل أكثر من كتلة لا يمكن تمييزها!.

أما عن الفكرة الثانية في هذا الكتاب، فقد أظهر أينشتاين أن الوقت يتغير بسرعة، وأعطانا فكرة جديدة عن الزمان والمكان. لقد رأينا أن الوقت يمر بسرعات مختلفة في أماكن مختلفة، لكن هل تعلم أنه يمر أيضا بمعدلات مختلفة في نفس المكان؟ هذا شيء اكتشفه ألبرت أينشتاين في أوائل القرن العشرين، عندما ربط مرور الوقت بالسرعة التي تتحرك بها الأجسام. وبشكل أكثر تحديدا، أظهر أينشتاين أن الوقت يتباطأ عندما نتحرك بسرعة، هذا يعني أن الوقت يتحرك بشكل أبطأ بالنسبة للشخص المتحرك من الشخص الذي يقف ساكناً.

تعني هذه العلاقة بين الوقت والسرعة أن مفهومنا الشائع عن «الآن» أو «الحاضر» هو في الأساس غير منطقي. لماذا ؟ حسنًا، تخيل أن لديك صديقا على كوكب بعيد - دعنا نقول «كوكب ب»، على بعد أربع سنوات ضوئية، أو حوالي ٣٨ تريليون كيلومتر. تخطر ببالك فجأة وتتساءل مع نفسك عما يفعله «الآن». تمسك تلسكوبا وتوجهه نحو «كوكب ب». ماذا ترى؟

حسناً، ليست اللحظة الحالية على هذا الكوكب. السنة الضوئية هي مقياس المسافة التي يقطعها الضوء في السنة. يقع «كوكب ب» على بعد أربع سنوات ضوئية من الأرض، لذلك عندما تنظر من خلال التلسكوب الخاص بك، فإنك في الواقع تنظر إلى ما كان يفعله صديقك قبل أربع سنوات! ولكن هذا هو الشيء، حتى إذا حاولت معرفة ما ستفعله في غضون أربع سنوات، فلن تكون في «الآن» على «كوكب ب» بعد كل شيء، بحلول ذلك الوقت، قد تكون قد عدت إلى الأرض وسنوات مقبلة في زمن الأرض!

هذا يوضح فقط أن «الحاضر» يعمل حقا كمفهوم فقط عندما نطبقه على الأشياء من حولنا، هذا الفهم لنسبية الزمن كان هدية أينشتاين العظيمة لنا. قبل مجيئه، كان يُفهم الوقت كما كان منذ يوم نيوتن، أي أنه مقياس مطلق كان صحيحاً بغض النظر عن الحركة أو التغيير. وبالمثل، كان يُعتقد أن الفضاء مستقل عن الأشياء التي يحتويها. تغير ذلك بعد أينشتاين. لأول مرة، تم تصور المكان والزمان على أنهما متشابكان في هندسة مفردة ومعقدة.

وبالحديث عن الفكرة الثالثة التي تناولها الكتاب، فهي فكرة مفتاح الترتيب الزمني؛ إذ أدت ميكانيكا الكم إلى ثلاثة اكتشافات أساسية للمكان والزمان. الآن، نحن نعلم أن الوقت ليس تسلسلا سلسا للأحداث المنظمة جيدا التي تنتقل من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، لقد رأينا أيضا أنَّ الحدث «في الوقت المناسب» لا يمكن فصله عن المكان الذي يقع فيه. إذن، ما هو الوقت بالضبط؟ حسناً، دعونا نلقي نظرة فاحصة على كيفية فهم الفيزيائيين المعاصرين لهذا المفهوم.

أفضل مكان للبدء هو ميكانيكا الكم. هذه في الأساس طريقة لدراسة الطبيعة من خلال التركيز على أصغر مكوناتها - ما يسمى الكوانتا - هذه هي اللبنات الأساسية لجميع الكيانات المادية. وهي تتراوح من «حزم» صغيرة من الضوء والطاقة إلى الجسيمات الأولية التي تشكل العالم المادي. أدى تحليل الكوانتا إلى ثلاثة اكتشافات رائدة.

يُعرف الأول بالتفصيل. لقد فهم الفيزيائيون أن الطاقة والمادة

«مكمّتان» بعبارة أخرى، يتم تجميعها في مجموعات صغيرة بدلا من التدفق بحرية بين القيم المختلفة. وقد أدى هذا بدوره إلى استنتاج مفاده أن الوقت لا يتدفق باستمرار، بل يأخذ قيما منفصلة معينة. نتيجة هذا الرأي هو أن الوقت، تماما مثل العالم المادي، يتكون من حبيبات صغيرة. كم دقيقة هي؟ حسنا، أصغر وحدة زمنية - زمن بلانك - هي فقط ١٠-٤٤ ثانية، هذا واحد مقسوم على واحد متبوعًا بـ ٤٤ صفرا!

الاكتشاف الثاني هو اللاحتمية. يعود هذا إلى استحالة التنبؤ الدقيق بالمكان الذي سيظهر فيه الإلكترون الذي تم رصده في وقت ما بعد ميلي ثانية. بين هاتين الملاحظتين، من المستحيل تحديد موقع الإلكترون الدقيق، كل ما يمكن للعلماء فعله هو عمل تخمينات احتمالية. الوقت أيضا غير محدد، فهو يتأرجح بين الماضي والحاضر والمستقبل ويمكن أن تحدث الأحداث قبل وبعد الأحداث الأخرى.

أخيرا، هناك الطبيعة العلائقية للعالم. إذا أراد العلماء مراقبة الإلكترونات، فعليهم دراسة تفاعلها مع الأشياء المادية الأخرى. بعبارة أخرى، لا يمكن معرفة الإلكترونات إلا من خلال علاقاتها بأشكال أخرى من المادة. الشيء نفسه ينطبق على الوقت. إذا كنت ترغب في تحليلها، عليك أن تنظر إلى شبكة العلاقات التي تحددها.

وأما عن الفكرة الرابعة التي ذكرها كارلو روفيلي، يتكون العالم من أحداث، وليس أشياء، ولا يوجد متغير مميز للوقت. قد يعتقد فراعنة مصر القديمة والملوك الذين حكموا فرنسا ذات يوم أنهم أبَدوا، ولكن حتى أعظم الإمبراطوريات والمؤسسات تتلاشى وتنهار. التاريخ يتأرجح ويتدفق - الثابت الوحيد هو التغيير.

يأخذ الفيزيائيون نظرة مُماثلة للعالم. كما يرون، فإن الأرض لا تتكون من أشياء، بل أحداث. ما يهم حقًا ليس المواد والكيانات الملموسة، بل الأحداث والعمليات. لا شيء، في النهاية، ولكن كل شيء يحدث. بعبارة أخرى، العالم في حالة تدفق مستمر، وليس ركودا. إذن ماذا يعني ذلك في الواقع عملياً؟

الفرق بين الأشياء والأحداث هو مدتها، إلى متى تستمر في الوقت المناسب. الحجر، على سبيل المثال، عادة ما يتم تعريفه على أنه شيء، بينما يُنظر إلى القبلة على أنّها حدث. سوف يدوم الحجر أكثر من القبلة - لحظة عابرة - بآلاف السنين. ولكن عند التصغير واتخاذ منظور طويل الأمد حقاً، تبدو الأمور مختلفة. بعد كل شيء، الحجر ليس أكثر من تفاعل للجسيمات. في النهاية، حتى أقوى الصخور ستعود إلى الغبار مع انهيار تلك العلاقات. من هذا المنظور، أي شيء يشبه الحجر يبدأ في الظهور كحدث طويل حقا!

تؤثر هذه النظرة إلى العالم أيضًا، على كيفية فهم العلماء للوقت. عادة ما نقول فقط إن شيئاً ما حقيقيا إذا كان موجودا هنا والآن. كل شيء آخر قد انتهى بالفعل، أو أنه مجرد افتراض. يسمي الفلاسفة طريقة التفكير هذه بالحضرية. لكن هذا لا يتوافق مع النتائج التي توصل إليها علماء الفيزياء. إذن، ما هو البديل؟

كما رأينا، لا يمكن تحديد الحاضر عالميًا، لأن كل نقطة في الفضاء لها وقتها الخاص. نعلم أيضاً أن الوقت ليس تسلسلا منظما للأحداث من الماضي إلى الحاضر والمستقبل. هذا يعني أن كل

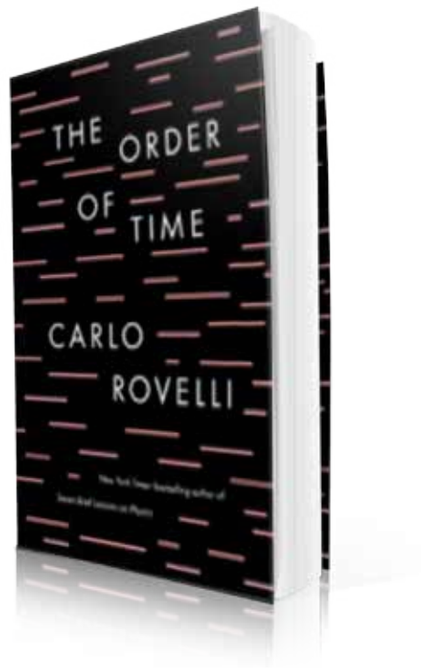

شيء موجود في أي من هذه الأطر الزمنية الثلاثة يجب أن يكون حقيقيا بنفس القدر، أطلق عليه اسم الأبدية.

نتيجة لذلك، تخلى الفيزيائيون عن جميع محاولات تطبيق متغيرات زمنية مستقلة على المعادلات التي يستخدمونها لوصف العالم. في مجال الجاذبية الكمومية الجديد، على سبيل المثال، تخلى العلماء عن فكرة رسم خرائط لكيفية تغير الأشياء بمرور الوقت، وبدلا من ذلك، ركزوا طاقاتهم على وصف كيفية تغير الأشياء بالنسبة لبعضها البعض.

الفكرة الخامسة هي أن الوقت «ظاهرة ناشئة» تنشأ من إدراكنا للعالم. كما رأينا، فإن تربيع فهم الفيزيائيين للوقت مع مفاهيمنا اليومية أمر صعب للغاية. ولكن هناك طريقة للتوفيق بين تجاربنا ورؤى الفيزياء الحديثة «مفهوم الظواهر الناشئة».

تخيل مجموعة من تلاميذ المدارس الذين قرروا ممارسة لعبة كرة القدم. أول شيء عليهم فعله هو تقسيم أنفسهم إلى جانبين متعارضين. لنفترض أنهم فعلوا ذلك بمجرد رمي قطعة نقود. ولكن بمجرد اختيار الفريقين، ليس من المنطقي أن نسأل أين كانا قبل تشكيلهما. لم يكونا في أي مكان.

إذن من أين جاء؟ حسنا، لقد ظهرا نتيجة لإلقاء العملة. بعبارة أخرى، إنها ظاهرة ناشئة. من المفيد التفكير في الوقت بمصطلحات مماثلة. إنه غير موجود «هناك» في العالم كمعيار موضوعي، بل إنه يظهر نتيجة لتصورنا الخاص للكون.

في قلب تلك النظرة إلى العالم تكمن فكرة أن الوقت يتدفق. ومع ذلك، فإن هذا يرجع إلى ما يسميه علماء الفيزياء الانتروبيا. وإليك كيف يعمل: الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل، هي من خلال مراقبة التغيير. إذا بقي كل شيء على حاله، يصبح من المستحيل فصل هذه الأطر الزمنية الثلاثة، كل شيء يبدو كما هو. التغيير، مع ذلك، يرجع إلى زيادة في الإنتروبيا.

لكن ما هو الإنتروبيا بالضبط؟ إنها في الأساس طريقة لقياس مدى تنظيم الأشياء. تشير الانتروبيا المنخفضة إلى قدر كبير من الانتظام، بينما تشير الانتروبيا المرتفعة إلى اضطراب متزايد. إذا بدأت سيارتك الجديدة في الصدأ والانهيار، على سبيل المثال ، يمكنك التأكد من زيادة الانتروبيا.

ووفقا للقانون الثاني للديناميكا الحرارية، فإن الانتروبيا تتزايد دائما، وهذا ما يضمن أن تدفق الوقت يتحرك دائما في نفس الاتجاه. لكن هذا الرأي قد يكون أيضا انعكاسا لموقفنا في الكون. إذا تمكنا من إيجاد منظور مختلف، فقد تبدو الأمور مختلفة تماما. بعبارة أخرى، لا تضمن زيادة الانتروبيا أن الوقت يتدفق حقا في الاتجاه الذي نعتقد أنه كذلك!.

أخيرا، تجربة الوقت هي من صنع أذهاننا. لقد غطينا الكثير من التفاصيل في ملخص الكتاب هذا، لذلك دعونا نختتم الأمور بالعودة إلى نقطة البداية، علاقتنا مع الوقت. إنه مكان مناسب للنهاية، لأنه أكبر لغز بينها جميعا. نحن نعلم أن الوقت ليس سمة عالمية للعالم، ومع ذلك سيكون من الصعب تخيل الحياة البشرية دون مرور الوقت. إذن، من أين يأتي تصورنا للوقت؟ حسنا، يتعلق الأمر بشكل أساسي برؤيتنا الذاتية للعالم. بعبارة أخرى، إنه جزء أساسي مما يمنحنا هويتنا كبشر.

هذا من ثلاثة مكونات. الأول هو وجهة نظرنا، وتحديد هويتنا بطريقة معينة للنظر إلى العالم، ووجهة النظر التي نعالج ونستوعب المعلومات من خلالها. ثانيا، نميل إلى تقسيم هذه المعلومات إلى أجزاء أصغر تسهل علينا فهم العالم. فكر فقط في الطريقة التي نجمع بها حزمة من المواد الصخرية معا ونطلق عليها اسم «مونت بلانك». والأهم من ذلك، أننا ندعم العمليات المختلفة التي تشكل كائنات بشرية أخرى، لنمنح أنفسنا فكرة أفضل عما هو الإنسان في الواقع. وهذه الحركة الفكرية تشكل نظرتنا إلى العالم، وتحدد كيفية تفاعلنا مع الآخرين. وبعبارة أخرى، فإن مفهومنا عن الذات لا يتشكل من خلال التأمل، ولكن من خلال التفاعل.

المكون الثالث لهويتنا هو ذاكرتنا. لا يتم تخزين تجاربنا مع مونت بلانك، أو أي شخص آخر بشكل عشوائي في أذهاننا، في الواقع، يتم حفظها بشكل مرتب على بطاقات فهرسة مرتبة ترتيبا زمنيا، مما يشير إلى فصول مميزة من ماضينا. يسمح لنا ذلك بتصور العالم على أنه نتاج لسلسلة تاريخية من الأحداث، وحياتنا كأقواس سردية تربط الماضي بالحاضر، ومن خلال التوقع، الحاضر بالمستقبل.

ومن هنا يأتي فهمنا للوقت، التخزين المنهجي للمعلومات والخبرات ذات الخبرة والذاتية. الوقت، بعبارة أخرى، متجذر في الأعمال الداخلية للعقل، ويجعلنا ما نحن عليه كنوع!.

- اسم الكتاب: تنظيم الوقت
- المؤلف: كارلو روفيلي
- سنة الإصدار:2019م
- اللغة: اللغة الإنجليزية
- عدد الصفحات: 240 صفحة

* كاتبة عُمانية

بداية عام 2020
توركار أكنجي

أميرة سامي *

أعد الكاتب"Türker Akıncı" توركار أكنجي هذا الكتاب بعد مُقابلات مع خبراء الكوارث والفيروسات والحرب العالمية الثالثة، ويذكر أنَّ الهدف من إعداد الكتاب التقصي والتحقيق في المواقف التي مرَّت بها الأرض وما مررنا به وما سنعيشه.

الكاتب صحفي منذ ١٢ سنة، بدأ المهنة في وكالة دوجان للأنباء. عمل في CINE5 لمدة ثلاث سنوات تقريبًا، بدأ حياته المهنية كمراسل رياضي. عندما انتقل إلى Beyaz TV في عام ٢٠١٢، لجأ إلى الأخبار، ثم المراسلات، وكان مشرفًا على البرامج السياسية منذ عام ٢٠١٦، ويظهر على الشاشات التليفزيونية كل يوم خميس مع برنامج يسمى Ne Ne Ne Yok، ينشر في الغالب نظريات المؤامرة والبحوث. ويدير مديرية الأخبار على موقع .Beyazgazete com. وأخيرًا وضع أمام القارئ كتابا بعنوان «بداية عام ٢٠٢٠»، وهو باحث يطرح الأسئلة بحماسة وقليل من نظريات المؤامرة الغامضة وإثارة مهنة الصحافة.

يوضح الكاتب الصحفي «أن هذا كان كتابًا يصف الحرب العالمية الثالثة عندما بدأنا منذ عام ونصف العام، وبدأ التشاور مع ضيوف برنامجي بهذا الطموح. والتقيت مع ميتي يارار، ورمضان كيرتوغلو، وعلي سلمان ديميرباخ، وعلي بكتان، وأونر دوسر، وسعيد إركان. ومع ذلك، عندما دخلنا عام ٢٠٢٠، قادني ما جربناه إلى نقطة مختلفة، بشكل أساسي، أكملنا أجزاء الكتاب التي تصف شرق البحر الأبيض المتوسط، وحروب الطعام والماء والألعاب التصورية مع ظهور مرض فيروس كورونا، وأجريت مقابلات مع أسماء مختصة في الساحة حيث تطورت العملية. وأكملنا الكتاب في الأيام الأولى التي جاء فيها الفيروس إلى تركيا».

وتدور الأسئلة الواردة في الكتاب حول ما يلي: هل يواجه العالم هجوما بيولوجيا؟ هل سيموت ٥٠ مليون شخص بسبب الفيروس كورونا؟ كيف سممت الولايات المتحدة مواطنيها؟ كيف يتم التحكم في الدماغ عن طريق الفيروسات؟ هل هو مشروع لتقليل عدد سكان العالم؟ هل سيأتي فيروس «الزومبي» بعد الفيروس كورونا؟ هل سيتم حقن الإنسان الآلي بلقاح الفيروس كورونا؟ الأرض المقدسة والكعبة هل هي مُحاطة؟ هل ينجرف العالم إلى حرب المسيح الدجال؟ مع قطاع الغذاء والدواء، هل وصل الجنس البشري إلى نقطة النهاية؟ من يُهاجم آيا صوفيا والسلطان أحمد والسليمانية؟ هل يمكن استهداف تركيا بسلاح مناخي وزلزالي؟ هل تركيا تحت تهديد الغزو؟ هل ما زالت تركيا تواجه بعد ١٠٠ عام بنفس اللعبة؟ هل ستكون هناك حرب نفطية كبيرة في شرق المتوسط؟ هل ستشرق الشمس من الغرب؟ ما الكوارث التي يتنبأ بها التنجيم بحلول عام ٢٠٢٣؟

وعن ظهور الخيال العلمي في كتاب بدايات ٢٠٢٠ يذكر الكاتب« قبل حدوث هذه العملية، أن أولئك الذين سيقولون إن كل شيء في الواقع نظرية مؤامرة، فقد تحولت نظريات المؤامرة إلى حقيقة. لأن ما كنا نتحدث عنه لم يكن بعيدًا على الإطلاق. حدث ذلك كثيرا. العملية التي مررنا بها تتجاوز دور الخيال العلمي. حتى قيل القليل في دور السينما. لهذا السبب قمنا بفحص كل لحظة من عملية الفيروس من وجهات نظر مختلفة أثناء عملية الكتابة».

وعن كيفية قيامه بهذا قال:« تحدثنا عن العملية التاريخية لجميع الفيروسات. تساءلنا عمَّا إذا كانت الصين أو أي محور آخر وراء هذه الأعمال. كذلك قارنا مرحلة تطور الفيروسات الأخرى مع فيروس كورونا. لقد قدرت تقريبًا جميع نظريات المؤامرة التي تجولت في الوسط وحصلت على آراء مُختلفة من أسماء مختلفة. وبعبارة أخرى، في هذا الكتاب، جعلنا من الممكن العثور على إجابات لجميع الأسئلة حول كيف سيأتي الفيروس من العملية التاريخية وبشكل خطر على المستقبل».

يتطرق الكتاب في الواقع إلى العديد من القضايا الأساسية. لقد حقق الكاتب في الحجج التي تتعلق بكيفية تحكم الفيروسات وفي كيفية تقديم الفيروسات. على سبيل المثال لقد تمَّ التحدث عن مُحاولة تقليل عدد سكان الأرض لسنوات، قبل أن أجد ما يعادله في هذا الكتاب، كنت أعتقد أنَّه حلم أصبح حقيقة. ولكن هناك حقيقة كشفتها الأساسيات التاريخية أننا الآن في منتصف تلك المُبادرة. سوف تجد المعاملة المتبادلة التي نعيشها في جزء كبير جدًا من الكتاب. ومع ذلك، يمكن أن ترى خطوة بخطوة نوع الكارثة التي أحدثتها الأرض تحت اسم الرقمية دون أي خطأ. وكانت رؤية كل ذلك كواحدة من الخطط التي وضعها شخص ما منذ سنوات ويذكر الكاتب أنها إحدى الرهانات التي تفاجأ بها.

ويرى الكاتب أن شخصًا ما صمم عام الكوارث، «فيروس ... زلازل ... فيضانات ... كوارث ... حروب ... حوادث طائرات ... وفيات ... لكن السؤال الحقيقي ما هو وراء الثلاث نقاط؟ يعتقد الكاتب أن نقطة الصفر كانت عقل هذه الخطة ... الموقع الذي سأقبل به نقطة البداية هو هذا الغطاء.

عندما فحص الكاتب غلاف مجلة The Economist الإيكونوميست في عام ٢٠٢٠ شبهها بـ «غطاء بئر الإعصار الذي يغلي الحروق في الجحيم وينتظر صدعه للتسلل إلى سطح الأرض» وفي كتاب بداية عام ٢٠٢٠ قام بتحليل كلمات الإيكونوميست على غلاف جميع الباحثين، مع مُراعاة التحليل. كان هذا الغلاف هو الذي سلط الضوء على كتابي، وقبله كنقطة انطلاق. ويذكر أن الجميع يعرف نقطة الصفر مثل ووهان. ولكن إذا لم؟ ماذا لو حدثت نقطة الصفر لهذا الفيروس في قارة غير رسمية. كل ما نعرفه وكل ذكرياتنا يمكن

أن تتغير. أعتقد أن نقطة الصفر كانت دماغ أولئك الذين وضعوا هذه الخطة. وقد كان معدل الإنفلونزا الإسبانية الذي استمر لمدة عامين في عام ١٩١٨، ٢,٥ ٪ وقتل ٥٠ مليون شخص. تجاوز معدل التهاب Covid-19 نسبة ٣ ٪. في الواقع، النقطة التي نتحدث عنها هي أكثر من الرياضيات الاحتمالية. في عام ٢٠١٧، توفي ٥٦ مليون شخص في العالم. قد لا يكون من الممكن لـ Covid-19 الوصول إلى هذه الأرقام بموجات جديدة.

و«تاريخ الفيروسات» بالنسبة للكاتب كشخص قام بالبحث والكتابة، يذكر أن الاختلافات التي لاحظها بين التاريخ والحاضر كما يلي:« عندما ننظر إلى تاريخ الفيروسات، هناك شيء قيم للغاية يخيفني. وذلك لأنَّ الفيروسات عادة ما تأتي في موجات قليلة. على سبيل المثال، كانت الإنفلونزا الإسبانية في ثلاث موجات. اليوم، لا نعرف ما إذا كان الفيروس كورونا سيستمر أم لا. على سبيل المثال، لا نعلم أن المريض المصاب بالفيروس لن يمرض مرة أخرى. لذلك، فإن القلق من احتمال وجود موجات جديدة أكثر من الاختلاف يظهر بالفعل كعلامة استفهام أكبر.

يعتقد الكاتب أننا سنمر بمراحل مختلفة من أجل التحول الكامل إلى الرقمية. كما أعطى الباحث علي سلمان ديميرباي اسم الفيروس التالي "Zombi...زومبي ...»، مشيراً إلى أنَّ الفيروس الأصلي لم يصل في بداية عام ٢٠٢٠.

لكن ما هو فيروس "Zombi...زومبي ...» كما يذكر الكاتب إنه «عمليات جديدة يمكنها التحكم بشكل كامل في الأشخاص» لقد كان فيروس كورونا تدريبات، لقد اختبروا الانعكاسات التي سيقدمونها، وما يمكن أن تفعله البلدان والاقتصاد. وأن العملية الرئيسة ستكون في السنوات القادمة، فالكاتب يرى أن معارك الانتفاضة تعيش بين البشر والأشخاص المتسللين.

إن إيجاد اللقاح هو قضية أخرى، لكن ما هي الآثار المترتبة على هذه المشكلة؟ يمكن القول بأن أولئك الذين ينشرون هذا الفيروس أو أولئك الذين أنتجوا هذا الفيروس أنتجوا أيضًا اللقاح أو الترياق. والسؤال الذي يطرحه الجميع على بعضهم البعض هو: «هل سيطروا على اللقاحات؟» إذا لم نتمكن من تطوير لقاح محلي ووطني في هذه العملية، فإن الإجابات على الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن ستكون موضع

تساؤل. الآن، من الممكن رؤية الأشخاص الذين تضع رقائقهم تحت جلدهم في أجزاء كثيرة من العالم. قبل بضعة أسابيع، أبلغت القنوات الألمانية الأشخاص الذين عاشوا وكانوا تحت سيطرة الشريحة. الآن كل هذا سيصبح عاديًا.

يعتقد الكاتب أن العملية التي نعيش فيها هي عملية نهاية العالم، حيث لا توجد جغرافية عشوائية لا تنزف بشكل عاجل. في حالة سريعة، يدفع شخص ما الحقيقة إلى عملية أكبر. وهناك خطط وأفعال الإنجيليين من ناحية، والعالميين من ناحية، وأولئك الذين يعارضونها جميعًا من ناحية أخرى. في الواقع، نهاية العالم غير المُسماة أو حرب الأرض الثالثة. لنفترض أن السنوات الأربعين الماضية كانت تعيش أكثر من الحرب العالمية الثانية. ولكن عندما تنظر إليها، لا توجد حرب معينة، أليس كذلك؟ حرب نهاية العالم ؛ هي من ذوي الخبرة بين الناس والروبوتات.

وعن السؤال الوارد في الكتاب حول الأرض المقدسة والكعبة هل هي محاطة، يذكر الكاتب أن العقل الشيطاني يلعب لعبة مخططة للغاية مع صناعة السينما وألعاب الكمبيوتر والهندسة المعمارية لإذلال الكعبة. إنهم يريدون بناء مكة الجديدة في سينما أيام ريديك بطولة فان ديزل. الكعبة المُعاصرة المليئة بناطحات السحاب محاطة بالملاعب التكنولوجية! انظروا، لقد أصبحت السينما حقيقة واقعة اليوم. قام شخص ما بغزو مُحيط الكعبة مرة أخرى اليوم. نعم الكعبة محاطة بكافة الواجهات.

ويطالب الكاتب أنه يجب حماية آيا صوفيا والسليمانية والسلطان أحمد جيدًا، وهذا الأمر قد شرحه الأستاذ رمضان كيرتوغلو قائلاً، يجب تدمير المُقدّس ويجب تحويل الأرض إلى جانب ديني واحد. في الواقع، تمَّ طرح حل جيد وهو «حوار الأديان» في تركيا، من أجل تنفيذ هذه المبادرة وخدمة هيكل غير ديني حصريًا، تم التخطيط لتدمير الأماكن المقدسة في أماكن مثل آيا صوفيا، السليمانية والسلطان أحمد.

وعن صناعة المواد الغذائية يوجد قسم يحتوي على تحذيرات بشأن الخطر، وهو في السابق، كانت أكبر مجموعات الضغط في العالم هي لوبي الأسلحة والتمويل. ومع ذلك، إذا كان هناك موقف أكثر خطورة من هذه اللوبيات، فهو ردهة الطعام. في دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠١٥، كان عدد الأشخاص الذين لقوا حتفهم بسبب حوادث المرور والقتل ٧٧ ألفًا. عدد الوفيات بسبب الآثار الجانبية للأدوية الطبية هو ١٢٠ ألفا. تتشابك صناعة الأدوية والمواد الغذائية. من الواضح أن الأسس موجهة من قبل الأفراد. بطبيعة الحال، الخطر الأكبر هو الطعام الذي يتم لعبه مع الكائنات المعدلة وراثيًا. وبحسب الأبحاث، سيصاب ٤ أطفال من أصل ١٠ أطفال بمرض السكري في السنوات العشر المقبلة. لذلك، أعتقد أن دولتنا يجب أن تعمل على الفور؛ فالهيكل الديناميكي لتركيا، مع بنية صناعة الدفاع القوية للخروج من هذه العملية أسهل بكثير، وستجبر هذه العملية تركيا في السنوات القادمة على العيش في شرق البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنها كانت خارج الأجندة قليلاً بسبب عملية الفيروس. يمكن أن يتغير مصير بلدنا مع النفط الذي يمكننا استخراجه.

- اسم الكتاب: بداية عام 2020.
- اسم المؤلف: توركار أكنجي ومجموعة باحثين
- الناشر: دار نشر إسطنبول تركيا
- سنة النشر: مارس 2020
- اللغة: التركية
- عدد الصفحات: 216

* أكاديمية مصرية

مدرسة الحياة: تعليمٌ عاطفي
آلان دي بوتون

طلال اليزيدي*

نقضي سنوات عديدة في المدرسة لتعلم الحقائق والأرقام ولكن الشيء الوحيد الذي لم نتعلمه أبدًا هو كيف نعيش حياة كاملة ومُرضية. لذلك نحتاج منظمة مدرسة الحياة، منظمة حقيقية أسست من عدة سنوات. مدرسة الحياة لديها هدف واحد بسيط: تزويد النَّاس بأدوات التطوير الذاتي والازدهار في العالم الحديث. وأحد أهم هذه الأدوات هو الذكاء العاطفي (Emotional intelligence).

السلسلة الجديدة من كُتُب المساعدة الذاتية التي نشرتها منظمة مدرسة الحياة التي تتخذ من لندن مقراً لها، والتي شارك في تأسيسها الفيلسوف السويسري آلان دي بوتون (Alain de Botton) كاتب الكتاب، تعكس صدى النهج النبيل الذي تتبعه المدرسة في التعامل مع المشكلات، مدعياً في كتابه أنَّ ذلك النهج «ذكي، وصارم، ومكتوب بطريقة جيدة كدليل إرشادي جديد للحياة اليومية». الكتاب مُقسم إلى عدة مواضيع رئيسة (الذات، والآخرون، والعلاقات، والعمل، والثقافة) مع مقدمة كتبها آلان دي بوتون لها نوع من النبرة الحزينة. في الحقيقة يُوجد في الكتاب قسم كامل حول كيفية أن تكون الحياة حزينة في بعض المواقف لا محالة. يجمع هذا الكتاب عشر سنوات من نتائج الأبحاث حول الذكاء العاطفي. مؤلفات مدرسة الحياة ليست أقل من أن تكون دورة مُكثفة في النضج العاطفي. الكتاب يجمع ذكاء، وأناقة الكاتب، والعلامة التجارية التي أصبحت معروفة في عالم الفلسفة لكتابات آلان دي بوتون، المتجذرة في نصائح عملية وقابلة للتطبيق، توضح لنا طريقًا إلى حياة أفضل نُريدها ونستحقها جميعًا.

تلتزم مُنظمة مدرسة الحياة بالتثقيف العاطفي. تركز على تقديم العلاج النفسي مُعتمدة على الثقافة بشكل عام، بإلقاء الضوء على الموضوعات ذات الاهتمام العاطفي. أحدث مشاريع المُنظمة عبارة عن كتاب بعنوان «مدرسة الحياة: تعليمٌ عاطفي» يهدف إلى تلخيص الكثير من نصائح واستشارات آلان دي بوتون حول الذكاء العاطفي في مكان واحد. الكتاب يتضمن مقالات حول كيفية التعايش مع العالم الحديث من خلال السيطرة على عواطفنا. كفيلسوف وكاتب أدرك بوتون أهمية الصحة العاطفية وكيف يمكن لفهمها أن يُغير من حياتنا بشكل كبير. آلان دي بوتون فيلسوف ومُؤلف بريطاني لكنه سويسري المولد. تُناقش كتبه مختلف الموضوعات المُعاصرة، مع التركيز على علاقة الفلسفة بالحياة اليومية. نشر مقالات في الحب عام (١٩٩٣)، وبيع منها مليونا نسخة. من بين أكثر كتبه مبيعًا كتاب كيف يمكن لبروست تغيير حياتك؟ (١٩٩٧)، وكتاب حالة القلق (٢٠٠٤)، وكتاب هندسة السعادة (٢٠٠٦). درس التاريخ في جامعة كامبريدج، وتخرَّج بامتياز، ثم أكمل درجة الماجستير في الفلسفة في كينجز كوليدج بلندن (١٩٩١-١٩٩٢). بدء الدراسة للحصول على الدكتوراه في الفلسفة الفرنسية في جامعة هارفارد، لكنه تخلى عن هذا البحث لتأليف كتب لعامة النَّاس.

الذكاء العاطفي هو قدرة الفرد على التَّعرف على مشاعره ومشاعر الآخرين، والتمييز بين المشاعر المُختلفة وتسميتها بشكل مناسب، واستخدام المعلومات العاطفية لتوجيه التفكير والسلوك، وإدارة وضبط العاطفة للتكيف مع البيئة لتحقيق الأهداف. على الرغم من ظهور المصطلح لأوَّل مرة في عام ١٩٦٤، إلا أنَّه اكتسب شهرة في عهدٍ حديث من خلال كتاب الذكاء العاطفي عام ١٩٩٥، الذي كتبه الصحفي العلمي دانيال جولمان (Daniel Goleman). عادة ما ترتبط القدرة على التعاطف مع الآخرين بالذكاء العاطفي، لأنَّ الذكاء العاطفي يتعلق بالفرد الذي يربط تجاربه الشخصية مع تجارب الآخرين، وبناءً على هذا الارتباط يتمكن من إظهار تعاطفه. توجد عدة نماذج تهدف إلى قياس مستويات (التعاطف) في الذكاء العاطفي. في الوقت الراهن يمكننا اعتبار أنَّ نموذج جولمان الأصلي للذكاء العاطفي نموذج مختلط يجمع ما بين «القدرة» على الذكاء العاطفي، و«سمة» الذكاء العاطفي، اللتين أصبحتا منفصلتين في النماذج الحديثة للذكاء العاطفي. عرّف جولمان الذكاء العاطفي بأنَّه مجموعة من المهارات والخصائص التي تدفع أداء القيادة. نموذج سمات الذكاء العاطفي تمَّ تطويره بواسطة كونستانتينوس (Konstantinos V. Petrides) في عام ٢٠٠١. وهو «يشمل التصرفات السلوكية وقدرات الإدراك الذاتي، ويتم قياسه من خلال تقرير ذاتي». ويركز نموذج القدرة، الذي طوره بيتر سالوفي وجون ماير (Peter Salovey and John Mayer) في عام ٢٠٠٤، على قدرة الفرد على مُعالجة المعلومات العاطفية واستخدامها للتنقل في البيئة الاجتماعية.

أظهرت الدراسات أنَّ الأشخاص ذوي الذكاء العاطفي العالي يتمتعون بصحة عقلية عالية وأداء وظيفي ومهارات قيادية أكبر، من المرجح أن تُعزى هذه النتائج إلى الذكاء العام وسمات شخصية مُعينة بدلاً من الذكاء العاطفي كمركب. على سبيل المثال، أشار جولمان إلى أنَّ الذكاء العاطفي يمثل ٦٧٪ من القدرات التي تعتبر ضرورية للأداء العالي في القيادة، وهذه النسبة تبلغ ضعف نسبة أهمية الخبرة الفنية في القيادة. في الجانب الآخر توصلت أبحاث أخرى إلى أنَّ تأثير مؤشرات الذكاء العاطفي على القيادة والأداء الإداري غير مهمة بأهمية القدرة والشخصية، وأن الذكاء العام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتفوق بالقيادة. فمنذ ظهور مصطلح الذكاء العاطفي تركزت الانتقادات على ما إذا كان الذكاء العاطفي مجرد ذكاءً حقيقي وما إذا كان يتمتع بصلاحية متزايدة من قبل الباحثين على نظير السمات الشخصية الأخرى.

الكتاب مقسم إلى خمسة أقسام: الذات، والآخرون، والعلاقات، والعمل، والثقافة. يوجد داخل كل قسم ثروة من الحكمة حول كيفية فهم أنفسنا وعيوبنا

بشكل أفضل، وكيف نكون نسخة أكثر لطفًا من ذواتنا الحالية في تفاعلاتنا مع الذين لا نعرفهم جيدًا، وكيف نحقق السلام والرضا مع العمل الذي نقوم به، وكيف يمكن للثقافة العامة أن تكون منقذتنا من خلال دفعنا نحو القيم النبيلة. المحور الرئيس للكتاب هو تحطيم الأفكار القائلة بأنَّ مسألة العاطفة فطرية ومستقلة من التفكير العقلاني. الادعاء الرئيس في الكتاب هو أنَّ فكرة الرومانسية التي جلبتها لنا رواية القصص الشعبية أضرت بقدرتنا على الوصول إلى بصيرة العاطفة المُستدامة. ولا نعتقد أنه شيء يمكننا العمل عليه وتحسينه، حتى في خضم الحملة العالمية للصحة العقلية التي هي في أولويات المجتمعات في الوقت الحالي. أعتقد شخصياً أنَّ فكرة استقلال التفكير العقلاني عن العاطفة من الأفكار المتداولة والخاطئة التي تنطبق على الكثير في مجتمعنا. وهي إحدى الأفكار التي نحتاج إلى تغييرها. في الحقيقة هناك مساحة واسعة لتطوير تفكيرنا حول العاطفة؛ فيجب علينا استخدام العقل عند التفكير في الأسئلة الكبيرة في الحياة. وفي نفس الوقت يجب علينا أن نتعلم كيفية إدارة عواطفنا؛ فالذي يجب ملاحظته هنا هو أنَّ الهدف الدنيوي ليس تحقيق حالة من السعادة والرضا الأبديين، إنه عكس ذلك تمامًا. الهدف هو توقف البحث عن العلاجات المادية التي نعتقد أنها ستكون مسبباً للسعادة والاكتفاء بالمُواساة حول حالة الإنسان في ظروف الحياة القاسية. في البحث عن هذه المواساة، يقدم الكتاب أربع علامات للصحة العاطفية ذات قيمة كبيرة في تقييم حالة الإنسان وما إذا كنت تحرز تقدمًا في رحلة التعامل مع الظروف القاسية:

حب الذات: إلى أي مدى يمكننا أن نكون أصدقاء مع أنفسنا.

الصراحة: مدى إمكانية إدخال الأفكار الصعبة والحقائق المُقلقة إلى الذهن، واستكشافها وقبولها دون إنكار.

التواصل: هل يمكننا أن ننقل خيبة أملنا ويأسنا في كلمات تمكّن الآخرين، إلى حد ما، من رؤية وجهة نظرنا؟

الثقة: إلى أي مدى يمكن أن ننجو بسهولة في التحديات النفسية، كإلقاء خطاب أمام جمهور، أو الرفض الرومانسي من عشيق، أو نوبة من المشاكل المالية، أو رحلة إلى بلد آخر أو نزلة برد. فما مدى

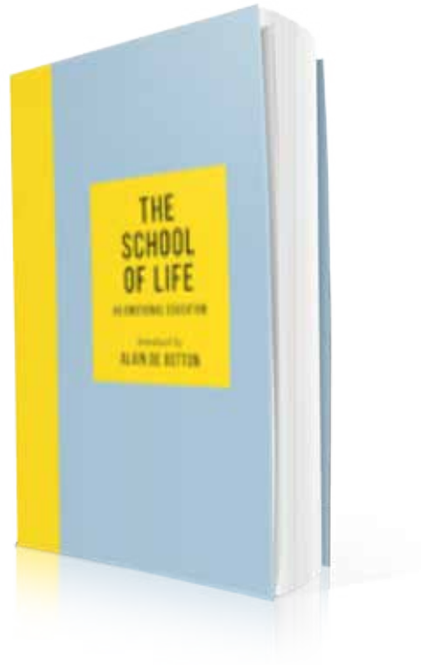

مرونتنا وثقتنا بأنفسنا في التعامل مع ضغوط الحياة المختلفة.

في ثنايا الكتاب جلب دي بورتون نظرته الحساسة إلى تعريف أكثر ثراءً وبأبعاد مختلفة للشخص الذكي عاطفياً، والقادر على إدارة عواطفه: «الشخص الذكي عاطفيًا يعرف أنَّ الحب مهارة وليس شعورًا، ويتطلب الثقة والضعف والكرم والفكاهة. الشخص الذكي عاطفيًا يمنح الوقت الكافي لتحديد ما الذي يُعطي معنى لحياته العملية، ويتمتع بالثقة والمُثابرة لمحاولة إيجاد تسوية بين أولوياته الداخلية ومتطلبات العالم. الشخص الذكي عاطفيًا يعرف كيف يتمنى ويكون ممتنًا للحياة التي يملكها، بينما يظل ثابتًا أمام البنية المأساوية للوجود. الشخص الذكي عاطفيًا يعرف أنه لن يتمتع بصحة نفسية إلا في مواقع قليلة وفي لحظات معينة، ولكنه متفهم بأنَّ هذه اللحظات ليست كافية لصحة نفسية أبدية».

الموضوع الرئيس الآخر الذي يناقشه هذا الكتاب هو القلق، فالقلق مهاجم ضروس للصحة النفسية متفشٍّ بشكل واسع في القرن الحادي والعشرين. يقول آلان دي بوتون عن القلق: «القلق ليس علامة على المرض، أو ضعف عقلي، أو خطأ يجب أن نسعى دائمًا إلى حل طبي له. إنه في الغالب ناتج عن استجابة معقولة وحساسة للغاية للتجارب الحياتية المُثيرة للغرابة، والرعب، وعدم اليقين، والمخاطر المستقبلية المحتملة من الوجود. الخطوة الأكثر أهمية للتعامل مع القلق هي القبول، قبول الأحداث السيئة في الحياة مثل قبول الأحداث الجيدة. أيضاً ليست هناك حاجة، فوق كل شيء آخر، للقلق من أننا قلقون. فتغير المزاج إلى السيئ ليس علامة على أنَّ حياتنا قد ساءت».

يُجادل دي بوتون بأن فشلنا الثقافي في جعل الذكاء العاطفي شيئًا قابلًا للتعليم، ينبع من افتراضين أساسيين معنيين بنظامنا التعليمي نفسه. ١)التعليم يركز على محتوى التعليم وليس على طرق التعليم. ٢) ميل التعليم إلى مغالطات المعلومات الدامغة بالحكم. دي بوتون يتصور البديل التعليمي للتنوير العاطفي في قوله: «قد يتطلب التعليم العاطفي منا اعتماد نقطتي انطلاق مختلفتين. بدايةً، قد تكون الطريقة التي نتعلم بها مهمة، لأننا نمتلك ميولًا راسخة لإغلاق آذاننا عن كل الحقائق الرئيسية عن عمق ذواتنا. دافعنا الراسخ هو إلقاء اللوم على أي شخص يكشف عن نقاطنا العمياء وأوجه قصورنا، لذلك يجب استرضاؤنا ببراعة وإغراء قبل الكشف عن نقاط ضعفنا وأوجه قصورنا. ثانياً، الإنسان بطبيعته ينسى كل شيء تقريبًا. فذاكرتنا عبارة عن منخل وليست دلاء قوية. فالمعلومات المُقنعة في الساعة ٨ صباحًا لن تكون أكثر من ذكرى قاتمة بحلول منتصف النهار ونفاثًا يتعذر فهمه في أذهاننا الغائمة بحلول المساء. فحماسنا وتأملاتنا وذاكرتنا تتلاشى مثل النجوم عند الفجر».

الكتاب يحتوي على مجموعة رائعة من الحكم التي تمَّ تقديمها بدون أجندة خفية دينية أو تجارية. الكتاب واقعي بشأن المُعاناة الإنسانية، ومتفائل بشأن الإمكانات البشرية لتخطي هذه المُعاناة، ومريح لعالم يحتاج بشدة إلى الإرشاد النفسي.

- اسم الكتاب: مدرسة الحياة: تعليمٌ عاطفي.
- الكاتب: آلان دي بوتون
- دار النشر: Penguin Books Ltd
- لغة النشر: الإنجليزية
- سنة النشر: 2019
- عدد الصفحات: 338

* كاتب عُماني

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

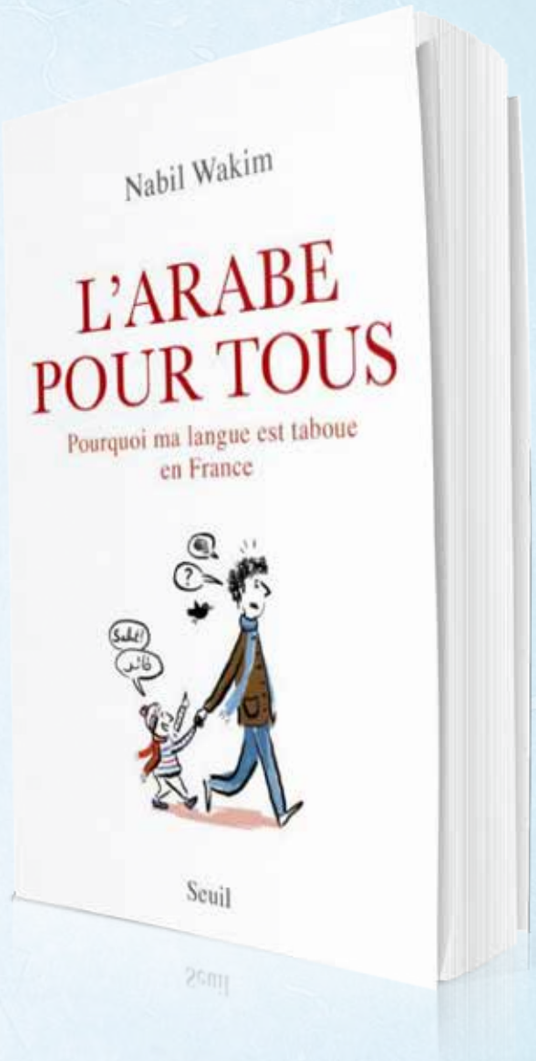

المؤلف: نبيل واكيم

الناشر: دار سوي. فرنسا

تاريخ النشر: 2020

عدد الصفحات: 208 اللغة الفرنسية

يتذكر نبيل واكيم مرحلة الطفولة عندما كانت أمه تتحدث معه بالعربية في الشارع فيشعُر بالخجل؟ يوضح المؤلف أنَّ هذا الشعور بالخزي والعار ساهم في نسيانه للغته الأم فلا يعرف كيف يقول أي شيء بلغته الأم؟ هل كانت الجمهورية الفرنسية هي السبب الحقيقي، لأنها كانت تمنع التحدث بالعربية كما منعت التحدث بالبروتونية؟

أضحت هذه اللغة مثل فزاعة. إذا كان جان ميشيل بلانكير قد أثار فكرة تعلم اللغة العربية فواجه احتجاجات عديدة. وعندما اقترحت نجاة فالو بلقاسم إصلاح التعليم، اتُهمت بالرغبة في فرض لغة القرآن على جميع الأطفال الفرنسيين.

يبرز هذا الكتاب مقولة غالبًا ما يتم التغاضي عنها حول الانزعاج الداخلي للتحدث بلغته عندما يتعلق الأمر باللغة العربية؛ إنه أيضًا تحقيق في أسباب خيبة الأمل هذه. في حين أنَّ اللغة العربية هي ثاني أكثر اللغات انتشارًا في البلاد، يتم تدريسها في 3٪ فقط من المدارس المتوسطة والثانوية لحوالي 14000 طالب. كان هذا نصف ما كان عليه قبل ثلاثين عامًا! في الوقت نفسه، يتزايد التدريس في المساجد أو الجمعيات الدينية - وهو تقدير يرفع عدد الطلاب الذين يتلقون دروسًا هناك إلى 80000. ألم يحن الوقت لنقنع أنفسنا بأن تعليم اللغة العربية يمكن أن يكون فرصة لإنقاذ بلادنا من العنصرية واللامساواة الثقافية والاجتماعية؟

العربية للجميع نداء لتدريس اللغة العربية لتجد أخيرًا مكانها الصحيح في تاريخ فرنسا.

نبيل واكيم من مواليد لبنان عام 1981. صحفي في صحيفة لوموند. من أجل هذا الاستطلاع، أجرى مقابلات مع العديد من الشخصيات التي تناقش هذا الموضوع علنًا لأول مرة، ولا سيما ميريام الخمري أو كريم رسولي أو كاميليا جوردانا.

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: التطور والبيئة والأوبئة
المؤلف: صمويل أليزون
الناشر: دار بوان، فرنسا.
تاريخ النشر: 2020
عدد الصفحات: 304. اللغة الفرنسية.

كيف تظهر الأمراض المعدية الجديدة؟ لماذا تتوقف بعض المضادات الحيوية عن العمل؟ ما هي التأثيرات التي يُمكن أن تحدثها تغييرات نمط الحياة أو سياسات الصحة العامة على حدة مسببات الأمراض؟ وباء الفيروس التاجي البشري الجديد، وقبله فيروس نقص المناعة البشرية أو البكتيريا المتعددة المقاومة، يوضح بجلاء أهمية وسرعة تطور الميكروبات.

يتبنى كتاب صموئيل أليزون مدير الأبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي، وهو متخصص في علم الأوبئة وتطور الأمراض المعدية، منهجا تحليليا باستوريانيا يشرح الآليات المتحكمة في الخلايا لتقديم أجوبة على المستوى الفردي. من الضروري الجمع بين دراسة دينامية السكان داخل بيئاتهم: وحده هذا المنهج الذي يدمج النهجين يجعل التحكم في العوامل المعدية وإيجاد علاجات أصلية ودائمة مرا ممكنا.

الكتاب: محتالو المنتجات العضوية
المؤلف: كريستوف بريسيه
الناشر: منشورات فلاماريون، فرنسا.
تاريخ النشر: 2020
عدد الصفحات: 304 اللغة الفرنسية.

بعد النجاح الذي حققه كتاب "هل أنت مجنون، لتأكل ذلك!"، الكتاب الأكثر مبيعًا، وكتاب عن الحلول الملموسة لطعام صحي"والآن، ماذا سنأكل؟"

صدر كتاب كريستوف بريسيه "محتالو المنتجات العضوية". للرد على جنون المُنتجات الطبيعية والعضوية. بغاية الحصول على ربح جديد، فإن الشركات متعددة الجنسيات في مجال الأغذية، والتي أصبحت خبيرة في الترويج للأطعمة الجديدة، أطلقت العديد من المنتجات التي يفترض أنها عضوية، ومسؤولة بيئيًا، وأخلاقياً، إلخ. إن ملاحظة المؤلف مهمة: هذه المنتجات، التي تباع غالبًا بهوامش ربح مُفرطة، ليست كلها طبيعية، وبعيدة كل البعد عن ذلك، وليست جيدة لصحة المستهلكين أو لكوكب الأرض. خاصة وأن ثلث المنتجات العضوية تستورد من بلدان العالم الثالث حيث يعتبر التراخي وحتى الفساد الإداري بلاءً حقيقيًا، وبالتالي لا يُمكن ضمان جودتها العضوية. بعد أن أصبح كريستوف بريسيه من أشد المنتقدين للوجبات السريعة، يقدم في كتابه الجديد على إجراء تحقيق كاشف وفاضح للتلاعبات الخطيرة لمصنعي الأغذية العضوية، هؤلاء (المنتجين والمحولين والموزعين، وما إلى ذلك) الذين يواصلون خداع المستهلك بلا كلل أو ملل على حساب صحته وأمواله! كتاب غاية في الأهمية، لإنشاء وعي غذائي صحي، صار المستهلك اليوم، في أمس الحاجة إليه.

تصفّح النسخة الرقمية .. مجلة التفاهم

عنوان العدد: الفرد والجماعة ومشكلات الاختلال العالمي

عبدالرحمن السالمي

المحاور

- **الإنسان والكون والاستخلاف في القرآن الكريم نحو رؤية إسلاميّة متوازنة** ... عبد المالك أشهبون
- **الرُّؤى اليونانيّة للعالم ومنزلة الإنسان** ...عبد الرزاق بلعقروز
- **الإتيقي والسياسي في الفلسفة اليونانيّة** .. معز مديوني
- **حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتّجه العالم والإنسان؟** .. فتحي المسكيني
- **الإنسان والعالم: تصوّرات الفلاسفة المعاصرين (مارتن هايدغر، غونتر أندرز، بيتر سلوتردايك)** - محمد الشيخ
- **نظريّات التنمية وأسباب التأزّم: دراسة نقديّة** عبد السلام نوير
- **إشكاليّات الدِّين والعلمانيّة والدولة المعاصرة في ضوءٍ جديد** ... رضوان السيد
- **ما بين الهويّة والشعبويّة: جدل الهبوط والصعود في قيم الانتماء في العالم المعاصر** - أحمد زايد
- **الدولة - الأُمّة: قضاياها وتحوّلاتها المعاصرة** محمد نور الدين أفاية

دراسات

- **المعرفة والتُّراث العلمي في الإسلام ما قبل الحديث: إرثٌ فركيٌّ في مجال التقاطع بين التعليم والدِّين** - سيباستيان غونتر
- **مسألة العدالة عند الفارابي وأبي الوليد بن رشد: دور النفس في القول الفلسفي العدْل** - يوسف بن عدي

وجهات نظر

- **مقد الإغاثة في الإسلام: نظرةٌ في المقوّمات والأُسس** - محمد المنتار
- **العلمانيّة: مخاض التاريخ ورؤى الحاضر والمستقبل** - برّاق زكريّا

آفاق

- **المؤتلف الإنساني ونقد سياسات الهويّة** ... طارق متري
- **إسهام لاهوت الأديان في بناء المؤتلف الإنساني** .... عز الدين عناية
- **المؤتلف الإنساني: رؤية كونيّة** ... محمد الشيخ
- **القيمة والحق وتداوليّة المؤتلف الإنساني** ....رضوان السيد

ترقبوا العدد الجديد من

مجلة التفاهم

عنوان العدد: الوضع العالمي والرؤية الأخلاقية

الآية:

"وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف : 24644031 – 24644032 968+ , فاكس : 24605799 968+

البريد الإلكتروني : www.altafahom.net – al.tafahoom@gmail.com – tasamoh@gmail.com